الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل:95362740

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

بعنوان

البنية الحجاجية في "المناظرة بين العلم والجهل" لمحمد بن عبد الرحمان الديسي

إعداد الطالبة:

- زهية محمدي

تاريخ المناقشة: 2019/06/27

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/ محمد عرباوي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د/عثمان مقيرش	أستاذ محاضر"ب"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
- د/ الطاهر لحواو	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية :1440/1439هـ 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] [سورة النمل، الآية:19]

أشكر الله سبحانه وتعالى على جميع نعمه وعطاياه، وعلى عونه وتوفيقه لي لإنجاز هذا البحث المتواضع فاللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى

كما أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: "عثمان مقيرش" الذي أحاط هذا البحث برعايته وتبناه منذ أن كان فكرة، وأشكره على جميل صبره وعونه لي فله مني كل الشكر والامتنان.

وشكري موصول إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على جهد القراءة والإثراء والتصويب.

وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي وأخص بالذكر: "طاهر لحواو، عباس بن يحي، إسماعيل سعدي، العياشي ختي"

كما أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة في سبيل إنجاز هذا البحث المتواضع ولو بالكلمة الطيبة

زهية

الإهداء

عائلتي

وطن...

وأنا من دونهم غربة...

زهية

مقدمة

يعد الحجاج ضرورة إنسانية، حيث أن الجماعة البشرية على اختلاف لغاتها، ودرجة تطورها وتباين عقلياتها، التي تصبو دائما فيما بينها، وفي محاوراتها مع غيرها، إلى إقناع الآخر حول ما تبسطه من آراء ورؤى ومفاهيم وتحمله على الإذعان لها، تلك طبيعة البشرية في كل زمان ومكان، ومن منطلق أننا نتكلم للتأثير، وأن اللغة حجاجية أصلا، ومن منطلق أن الخطاب نظام كشف عن المتكلم والمتلقي، وآخذا بعين الاعتبار كل الإسقاطات الفكرية والتاريخية الثقافية والنفسية والاجتماعية لطرفي الخطاب هذين، ودمجها بفعل الخطاب مولدة بذلك مولوداً ناضجا فذا قادرا على فهم كل كنه تلك الأعمال الإبداعية ومسوقا لها، متبنيا الكثير من التفسيرات التي ظلت عصية على المنهج الصوري الكلاسيكي(النقدي التداولي) .

حيث يعد الحجاج موضوعا قديما حديثا فهو كموروث خطابي فلسفي تشبع حديثا بجملة من المباحث اللسانية والتداولية وهو مرتبط بوعي الإنسان منذ غابر الأزمان.

فهو من أهم المواضيع التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحل اللساني التداولي باعتباره مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي توجه إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه .

فالحجاج هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع، بمعنى أنه من المداخل المهمة في مقاربة النصوص ذات الصيغة الإقناعية فأكثر بنية يمكن الاشتغال عليها في الخطاب هي بنية الحجاج، وهذا لما فيها من قضايا مطروحة على سبيل إلقاء الحجة وتأكيد المطلب.

إذ إن أول ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند سقراط وأفلاطون، ثم ظهر في الدراسات المعاصرة عند بيرلمان (1958) في أبحاثه التي سماها الأبحاث الجديدة أو البلاغة الجديدة، نظرا لحداثة الأبعاد التي تهتم بها، وعلى غرار ذلك انتبه العرب إلى هذا النمط الخطابي من خلال مصنفاتهم ودراساتهم، كما يتجلى في كتب العقائد والأصول والمناظرة والمقامات والشروح ...

من هنا تبرز أهمية الموضوع في محاولة الكشف عن جانب من جوانب الفكر الجزائري، في مرحلة كاد وهج الثقافة ينطفئ جراء دحض الاستعمار لكل ماله صلة بالعربية وتنوير العقل الجزائري، بالإضافة إلى معرفة هيكل بناء خطابه الحجاجي، وطرق الاستدلال والإقناع فيه ولأن المناظرة حجاجية بامتياز .

أما عن أسباب اختياري هذا الموضوع فهو إعجابي الكبير جداً بشخصية عبد الرحمان الديسي، وعليه فإن اختياري نابع عن قصد وفضول وشغف لسبر أغوار هذا الخطاب فاجتمع الهوى مع الرغبة في البحث العلمي، ورغبتي في التعرف على المنهج الحجاجي وآلياته .

أما من حيث الدراسة والمنهج المتبع فالدراسات حول عبد الرحمان الديسي قليلة جدا تكاد تكون نادرة، غير أنه حظي بمنزلة في الدراسات المشرقية، ولكن حول طبيعة الدراسة فقد وجد من مارس ذلك على نصوص أخرى مختلفة مثل :دراسة الحجاج في كتاب "الحجاج في القرآن الكريم" من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة، نجد كذلك أبا بكر العزاوي في كتابة "اللغة والحجاج" وطبقت سامية الدريدي نظرية الحجاج على نصوص الشعر العربي القديم، وقد ألفت في ذلك كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه".

وطبيعة الموضوع فرضت عدة مناهج منها المنهج الوصفي والمتمثل في ذكر الحجاج عند الغرب والعرب والمنهج التحليلي والمنهج التداولي .

أما عن الإشكالية التي انطلق منها هذا البحث هي :

- ما طبيعة البنية الحجاجية لخطاب عبد الرحمان الديسي في مناظرته؟.
- ثم تفرعت إشكاليات فرعية أخرى منها :
- كيف برز الحجاج في الدرس اللغوي العربي و الغربي قديما و حديثا؟
- كيف نظر البلاغيون للحجاج تحديدا عند اليونانيين ؟
- و كذلك عند العرب ، و ما منطلقاتهم الحجاجية و بعض آلياتهم ؟

- وما هي الآليات الحجاجية التي انبنى عليها خطاب الديسي وما شكل هذه الآليات؟ ما هي مكامن الإقناع فيه؟.
- هل كان للروابط والعوامل الحجاجية دور في الامتناع والإقناع في خطاب الديسي؟.
- كيف تتواشج هذه الآليات الحجاجية لتبني خطابا حجاجيا ناجحا أو بمعنى أدق، ما مقدار الطاقة الحجاجية التي يختزنها نص المناظرة من حيث الشكل والمضمون؟ وغيرها من الإشكالات التي سأحاول الإجابة عنها من خلال المنهجية التالية.

إذ قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين: الأول نظري: تناولت فيه ماهية الحجاج خصائصه ضوابطه ثم الأصول النظرية للحجاج عند العرب والغرب قديما وحديثا، وأخذت عينة بعض الأعلام. وختمت الفصل الأول بالتعرف على فن المناظرة والمقامة والفرق بينهما.

أما الفصل الثاني: فقد تطرق بحثي في دراسة تطبيقية ،فآثرت أن تكون بدايته التعرف على المناظرة وأركانها، بعد ذلك تناولت استخراج العوامل والروابط الحجاجية الموجودة في نص المناظرة مع السلم الحجاجي والمبادئ الحجاجية.

وفي الأخير ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

ومن أهم الصعوبات التي لاقيتها عامل الوقت، الذي لا يسع أن أحيط بكل جوانب الموضوع، وحداثة الدرس الحجاجي وتشعباته وكثرة الآليات التي يقوم عليها، مما يجعل الباحث يتطلع إلى حقول معرفية أخرى.

طبعا لا ينبني أي بحث من فراغ أو عدم ، فلا بد من الاعتماد على بعض المصادر والرجوع إليها من حين لآخر كي تعين على إخراج البحث في حلة أحسن و أبهى بعون الله، ، ، ولأن الحجاج مادة وفيرة وغزيرة جداً ، استعنت بالبعض على كثرتها منها :

- اللغة و الحجاج :أبو بكر العزاوي.
- الحجاج و الاستدلال الحجاجي :حبيب أعراب.

- عبد الرحمان الديسي حياته آثاره :وعمر بن قينة.

محمد بن عبد الرحمان الديسي: مقامة المناظرة بين العلم والجهل، وهو مدونة الدراسة.

وفي الأخير لا يفوتني أن أقدم الشكر الخالص للدكتور: "**عثمان مقيرش**" الذي أشرف على البحث حق الإشراف إذ نصح وخطط ووجه وقوم وقيم.

الفصل الأول

ماهية الحجاج

أولا- الدلالة اللغوية للحجاج

ثانيا- دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية

ثالثا- الدلالة الاصطلاحية للحجاج

رابعا- الحجاج في الفكر الغربي

خامسا- نظرة الغربيين المحدثين للحجاج

سادسا- الدراسات العربية القديمة والحجاج

سابعا- الحجاج عند المحدثين العرب

ثامنا- خصائص النص الحجاجي

عرف الدرس اللساني الحديث ميلاد بلاغة أطلق عليها "بيرلمان" "Prelman" البلاغة الجديدة، قوامها الحجاج "L'argumentation" الذي يقوم على "دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة التسليم"[1]، حيث أنها تعد من أرقى الخطابات وأكثرها تداولا بين علماء اللغة على اختلاف عصورهم.

فنجد مصطلح الحجاج عندهم يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله: كالفلسفة والمنطق واللسانيات، ونظرية التواصل والقانون، وامتد الأمر إلى علم النفس وعلم الاجتماع. ولهذا كثرت التعاريف حول هذا المصطلح بين المنظرين الغرب والعرب معا.

[1]- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس ط1، 2011، ص13.

أولا- الدلالة اللغوية للحجاج:

حجج: الحج: القصد: يقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، الحجة: البرهان: وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل، والتجاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج. فحج آدم موسى[1] أي غلبه بالحجة واحتج بالشيء: أتخذه حجة.

قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها وكذلك حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل[2].

وكذلك تناول الزمخشري كلمة الحجاج في كتابه "أساس البلاغة" في قوله" حجج: احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب، وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة[3].

ويعرف ابن فارس (395ه) الحجاج لغة بقوله: "يقال حاججت فلانا فحججته، أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر الحجاج[4]"

ثانيا- دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية:

يقال لفظ الحجاج في الفرنسية "Argumentation" وهي تشير إلى عدة معان متقاربة للتي في اللغة العربية، فحسب قاموس "روبير" "Le Grand Robert" الحجاج هو القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تهدف إلى تحقيق نتيجة واحدة أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة[5].

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، تح، خالد رشيد القاضي، دار صبح، إيدسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 2006 ج3، مادة (ح.ج.ج)، ص48، 47.

[2]- المرجع نفسه، ص288

[3]- الزمخشري: أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998، ج1، ص169.

[4]- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ج2، ص31، 30.

[5]- Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue Française,Paris 1989.

ونجد لفظة "Argumenter" تشير إلى: " الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج[1]".

ورد في قاموس "**كامبردج**" أن الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندتك ومعارضتك لفكرة ما[2].

ومن خلال هذه التعاريف المعجمية نجد أن دلالة اللفظ "Argumentation" لم تخرج عن إطار استعمال الحجة إما للدفاع او للاعتراض على فكرة معينة. كما يشير لفظ "Argue" في اللغة الانجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب أو العلل التي تكون الحجة "Argument" مع أو ضد رأي أو سلوك ما.

وبهذه التعريفات في اللغة العربية، أو الأجنبية (فرنسية-إنجليزية) نجد أن دلالة مصطلح "الحجاج" لا تخرج عن الجدل القائم بين المتكلم والمتلقي، رغم وجود الاختلاف الذي لا يستلزم العداوة والمقاتلة.

وردت كلمة الحجاج ومشتقاتها في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة الآية 258].

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران الآية61]

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية80]، وسواها من الآيات الكريمات

[1]- Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue Française, 534.
[2]- Cambridge Advanced Learnes: Dictionory, CombridgeUniversityPress 2ed Pub, 2004, P56,.

كثير، ومن الملاحظ أن المحاج عليه أن يكون صاحب علم، وإلا فلن يستطيع أن يسوق حجته، ويقنع بها المقابل (المتلقي).

ثالثا- الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

تذهب معظم التعريفات الاصطلاحية إلى أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما. ومتكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير وللمستمع الحق في الاعتراض عليه إن لم يقتنع.

فنجد أبو الوليد الباجي (**ت484ه**) يعرف الحجاج بقوله: "إن هذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجة ولما اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم"[1].

بمعنى أنه علم له أركانه وأسسه التي تميزه عن سواه. فهو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة. وفي ذلك يقول طه عبد الرحمان: "هو كل منطوق به موجه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عيلها"[2] بمعنى أن الحجاج خطاب وليس كأي خطاب، فهو ما اقترن فيه قصدان: قصد الادعاء والذي اختص به المتكلم، وقصد الاعتراض، الذي هو من حق المستمع، وعليه فإن دلالة الحجاج تقوم على وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية، والمتلقي لها ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم وبالنتيجة إقناعهم بمقصد معين"[3].

أبو بكر العزاوي يقول في الحجاج "أنه تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في

---

[1]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح، عبد المجيد تركي، دار المغرب العربي الإسلامي، بيروت، لبنان ط3، 2000، 2001 ص8.

[2]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1989، ص226.

[3]- المرجع نفسه، ص226.

إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها[1]".

فالحجاج هنا يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، وعليه فإن دلالة الحجاج تقوم على" وجود اختلاف بين المرسل الرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم وبالنتيجة إقناعهم بمقصد معين[2]".

فوظيفة الحجاج هي طرح الحجج التي تتضمن النفاذ للخطاب اللغوي وفي الأخير يحدث الإقناع بإدحاض فكرة وقبول فكرة، بكل ما يملك من وسائل لغوية وغير لغوية، أي بمعنى لا حجاج دون تقنيات لغوية تفضي من خلالها إلى الإقناع، فالحجاج لا ينحصر فقط بالآليات اللغوية فحسب، وإنما في كثير الأحيان بآليات لغوية مثل حركاتنا الجسدية والإيماءات. فالغاية منه التأثير في الآخرين واستمالتهم لمضمون خطاباتنا فهو: "ليس سوى دراسة لطبيعة العقول واختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير[3]"، بمعنى أن أي خطاب حجاجي هو خطاب مؤثر في الآخر لا في الجانب اللغوي فحسب، وإنما الجانب الفكري والنفسي والاجتماعي والثقافي وسواها، مما يؤدي إلى نتيجة في تغير سلوكه واقتناعه بالرأي الآخر الذي كان يرفضه.

فنجد من خلال ما سبق الدكتور محمد الولي يعرف الحجاج على أنه "توجيه الخطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام

---

[1]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص16.

[2]- عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في القرآن الكريم سورة الأنبياء نموذجا، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 102، مج 26، 2006.

[3]- المرجع نفسه ص4.

المتآلف من معجم اللغة الطبيعية"[1]. بهذا يكون الخطاب توليف بين مكونات متباينة وهي متعلقة بمقام ذي هدف إقناعي، ولكثرة وتداخل التعريفات وعدم الاتفاق على تعريف واحد طبعا هذا راجع للمجالات الواسعة للخطاب، فنجذ عند المنظرين الغرب تعريف لـ: **شاييم بيرلمان** في مؤلفه "**مصنف في الحجاج**": "الحجاج انطلاقا من موضوعه الذي هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن يزيد في درجة التسليم لذا يرى أن للحجاج ثلاث وظائف وهي:

- الإقناع الفكري الخالص.
- الإعداد لقبول أطروحة ما.
- الدفع الى الفعل"[2].

فبين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، نجد أنه فعل تواصلي يسعى إلى تقديم حجج من أجل إدحاض فكرة وإقناع الآخرين والتأثير فيهم واستمالتهم، على أساس أن بين أجزاء النص الخطابي علاقة منطقية تراتبية حيث نجد "**وليام برانت**" يبين أن جوهر الحجاج يكمن في إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين، ومن ثمة يعتمد هذا النص اعتمادا كبيرا على بنية أساسية عند عالم المنطق، وهي بنية القياس المنطقي.

رابعا- الحجاج في الفكر الغربي:

تضرب جذور النظرية الحجاجية منذ القدم (ق5 ق م) إلى الحضارة اليونانية، فقد تناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من القدرة والشمول، ساعد في ذلك التفتح الديمقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية والذي حمل لقدماء اليونان (السفسطائيون، سقراط، أفلاطون، أرسطو... الخ) لذا سأحاول عرض بعض ما قدمه هؤلاء من الممارسات الحجاجية مع التركيز على آثار أرسطو لامتدادها إلى عصرنا هذا.

---

[1]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرة والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتب، بنغازي، ليبيا ط1، 2009، ص75.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة، دار الكتب الحديث، ليبيا، ط1، 2008 ص107.

أ- السفسطائية والحجاج:

يعد السفسطائيون أول من وضع أصول علم الخطابة، فقد غيروا مفهوم الفلسفة من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان، إذ أن: "الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[1].

وكان هذا اعتقادهم خاصة عند كبيرهم "**بروتاغوس**"، واعتبروا "القول الخطابي يفوق المعارف البشرية الأخرى بما يمتلكه من قوة وفعالية إذ هو أعلى سلطة لتحقيق الاعتقاد وبناء المعرفة ووصل الإنسان والمدينة بالخير والنافع"[2].

كان السفسطائيون يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع، ويعلمون الشباب الخطابة، ويهيئونهم بذلك على السلطة، فقد اهتموا بأهم الطرق التي تؤدي الى الإقناع والتأثير، فلم يكونوا مفكرين ومنظرين بل معلمين يتقاضون مالا وفيرا على ذلك، كما قال "**بروتاغوراس**" "أوافق على أني سوفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس"[3]. ووظيفتهم هي تعليم الشباب، كيف يخدمون الفكرة وعلى أي وجه كان سواء بالحق أو بالباطل، حتى روي عنهم أنهم قالوا: "ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب، وإن في استطاعتك أن تجنب كل سائل عن كل ما يسأل... فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كاللعب بالألفاظ والاستعارات والكنايات الجذابة، بخداع المنطق وتمويه الحقيقة، ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج سفسطة"[4]. فقد اعتمدوا أعلى سلطة القبول لتحقيق غاياتهم المادية، مما أدى الى نشوب مصادمات بينهم وبين فلاسفة اليونان وعلى رأسهم سقراط.

---

[1]- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص105.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013 ص29.

[3]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود- منوية، كلية الآداب، جامعة تونس، د، ط ص98.

[4]- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة هنداوي، مصر، ط5، 1964، ص102.

وخلاصة القول أن حجاجهم كان يقوم على المراوغة والخداع، وتزييف الحق باطلاً والباطل حقا، فلم يؤمنوا بوجود حق أو باطل، إذن نظريتهم مبنية على التلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة باستعمالهم حججا واهية وخداعة، يحاولون من خلالها التأثير والإقناع والاستمالة. لأن روادهم تميزوا بالكفاءة اللغوية البلاغية، وبالخبرة الجدلية لذا كان لبلاغتهم عمق ونظرة دقيقة لغوية، فالخطابة عندهم قول يتناول الظاهر لا الحقيقة بمعنى اللذة لا الخير.

ب- أفلاطون والحجاج:

اعتمد أفلاطون على معيار الحق والخير أساسا لكل حجاج أو بلاغة، ينتفع منهما الفرد أو المجتمع على حد سواء، فحجاجه أخلاقي اتصف بالمثالية ورفض ما ذهب إليه السفسطائيون فالخطابة عنده "**فعل قولي أخلاقي**"[1]. من خلال قيادة المتلقي إلى عتبات الأخلاق السامية فطبق ما جاء في مدينته الفاضلة على كل شيء، أي تحقيق الخير والفضيلة للنفس.

فقد رأى أفلاطون أن صناعة الخطابة تبنى من خلالها ثلاثة أركان وهي:

1- اعتماد المنهج الجدلي.

2- معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقوال.

3- معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب.

فالجدل عنده يقترب كثيرا من العلم، ومن خلاله نقل الحجاج من مجال الظن إلى مجال الحقيقة، فيتضح أن مقصد الحجاج ينطلق من الخطابة والجدل وأساسهما العلم والخير.

[1]- حمادي صمود، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم منشورات كلية منوبة، تونس، ط2، 1998، ص78.

ج- أرسطو والحجاج:

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملاً، فكانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقيا والشعر وفن الخطابة، ويعتبر العمدة في عملية الحجاج، فهو المرجع الأساس النظرية الحجاج في العصر الحديث. فقد أراد وضع خطابة جديدة تستفيد مما قبلها، لأنه تنبه أن الخطابة قبله كانت خطابة إثارة وتأثير، ولأنه يشكل تهديدا للقيم التي يريد إرساءها فحولها من التأثير إلى الإقناع.

لأنه تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين، من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع ومن الزاوية الجدلية يعد الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب، إذ يبنه انطلاقا من أنواع الحضور، ومن رغبة في الإقناع ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، النوع القضائي، والنوع القيمي[1].

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج:

1-الآيتوس: "ETHOS": الباث أو الخطيب، يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه[2].

2- **الباتوس**: "PATHOS": المتلقي– المستمع: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

3-اللوغوس: "LOGOS": الرسالة– الخطبة، وتمثل الحجاج المنطقي، الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي[3].

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص15.

[2]- حسن بوبلوطة، الحجاج في الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009/2008 ص201.

[3]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص18.

فالبلاغة عند أرسطو عبارة عن أداة يمكن استعمالها بالخير أو بالشر، وتستعمل للعدل كما تستعمل للظلم، فقد جعل منها تقنية حجاجية مشروعة في المناظرات داخل الفضاء العام لأن بلاغته هي بلاغة استدلال، فكان الإقناع عنده هدفا منشوداً، ولأن الخطابة تقوم عنده على ثلاث محاور:

- استكشاف الحجج الواردة.
- ترتيب أجزاء العقول.
- الترابط بين أقسام الخطاب والأسلوب ويتمثل بالخصائص الفردية للخطاب.

ومن هنا يمكن القول إن البلاغة الحجاجية قد اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه "**الخطابة**" لأنه ركز على الوظيفة الإقناعية لأن الحجاج في التقاليد الغربية المعاصرة، نتاج الحجاج الأرسطي حيث عده "**بيرلمان**" بـ "**أب الحجاج**" اعترافا منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحجاجي القديم والحديث معاً.

خامسا- نظرة الغربيين المحدثين للحجاج:

أ- بيرلمان وتيتيكاه والحجاج" ChaimPrelman et LucieTyteca ":

لقد طور بيرلمان النظرية الحجاجية في مؤلفاته، ويظهر هنا جليا في مؤلفه المشترك مع زميله تيتيكاه وهو "**مصنف في الحجاج**" "Traitedel'argumentation" الذي ظهر من قبل باسم "الخطابة الجديدة" « La Nouvelle Rhétorique » فقد حاول كل منهما إعطاء تصور جديد للبلاغة من خلال إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل وكذا من صرامة الاستدلال نتيجته حجاج قائم بذاته له مميزاته وأهدافه، إذا يعرفان نظرية الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1].

ولهذا يرى صلاح فضل أن الحجاج عندهما هو: "دراسة التقنيات التي تؤثر في الملتقي وإقناعه بما نريد، وأنه يجب اعتبار الحجج مجرد صيغ بسيطة لا قيمة لها"[2].

---

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص239.

[2]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، ع164، 1992، ص97.

من هنا نجد أن الهدف من نظرية الحجاج عند بيرلمان، هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد على الأشخاص، أي أن نظرية المحاجة لا تنمو إذا تصورنا أن الدليل البرهاني، هو مجموعة صيغ بديهية حيث يقول بيرلمان: "أن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حده الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب. أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة[1].

من الأفكار الجادة عند **بيرلمان وتيتيكاه** علاقة الحجاج بالخطابة، وهما لا يخرجان عما أورده أرسطو بخصوص أن موضوع الحجاج: "يدور حيث يكون خلاف أو شك في صحة فكرة ما[2]".

ارتكزت نظرية بيرلمان وتيتيكاه في الحجاج على مبدأ الاحترام بين الخطيب وجمهوره (دون تحديد نوع الجمهور)، "ولئن حصرت الخطابة في ما هو شفوي، فإن الخطاب الحجاجي عند المؤلفين يمكن أن يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا، بل إنهما يلحان على المكتوب"[3] على اعتبار أن الكاتب يستحضر نوع الجمهور الذي يكتب له.

قدم الباحثان عملاً ركزا فيه على الإقناع الناتج عن وعي ودراية بجميع معطيات الخطاب، فالحجاج بالنسبة لهما عبارة عن: "تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة، بكل من المحاج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب"[4]. بعيدا عن

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص239.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص281.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص306.

[4]- محمد سالم ولد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، دار الكتاب الجديدة بنغازي، ليبيا، ط1، 2008، ص62.

الصرامة التي يطبعها المنطق، هو أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال، حيث تتطلب وعيا بآليات من شأنها تحريك المعنيين بالكلام صوب الفعل وتغييره بما ينسجم مع المقام[1]، لأن هدف الحجاج هو الوصول إلى استمالة المتلقي وحثه على احتضان أفكار الخطيب.

ب- الآليات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكاه:

يرى كل من بيرلمان وتيتيكاه أن حضور الحجة في ذهن المتلقي، يكون من خلال استعمال المتكلم لآليات أسلوبية وبلاغية مختلفة[2] لذلك سأعرض بعض هذه الآليات لدراستهما للحجاج:

1- **آلية الإطناب:**

اهتم بيرلمان بالإطناب وعده طريقة عرض حجاجية، وذلك من خلال الدور الهام الذي يؤديه في الإقناع، فبالأسلوب البطيء ينشأ الانفعال والتأثير.

2- **آلية التكرار:**

أمام المستمع لإبراز شدة حضور الفكرة التي يريد إيصالها.

3- آلية انتقاء اللفظة:

تعد آلية انتقاء اللفظ من الآليات الأساسية في العملية الحجاجية، فعلى المتكلم انتقاء لفظ يكون مناسبا ومقام الحديث. لأنه إذا خرج عن حدود ذلك الموضوع والسياق، فإنه لن يشد انتباه المتلقي لأنه يتحدث عن موضوع بألفاظ لا تناسبه[3].

كما اهتم بيرلمان وزميله بعدة آليات كالروابط الحجاجية واللفظ والنفي، إلى غير ذلك من الآليات.

---

[1]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب مج30، ع10 سبتمبر، 2001، ص12.

[2]- نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، مخطوط ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012/2011، ص25.

[3]- حمادي صمود، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص340.

ج- الحجاج عند ديكرو وكلود أنسكمبر:

اتضح مفهوم الحجاج وآلياته عند **ديكرو وأنسكمبر** من خلال كتابهما "الحجاج في اللغة "L'argumentation dans la langue، وفيه تحدثا عن حجاج مختلف عن الحجاج عند بيرلمان، فقد اتخذ الحجاج مع **ديكرو وأنسكمبر** منحى لغويا متميزان بذلك عمن سبقهما في دراسة الحجاج، حيث يعرفان الحجاج بأنه: "حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، بينما عرفه بيرلمان على أنه مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية[1]". ويتمثل موضوع الحجاج عندهما في: "بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا، لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما[2]".

ويرى ديكرو أن كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلم يعني أنك تحاجج **(كل قول= حجاج)** ولا يوجد الكلام دون شحنة حجاجية، والحجاج هو أن يقدم المتكلم قولا (ق*) أو مجموعة من الأقوال، موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر **(ق2)** أو مجموعة من الأقوال الأخرى سواء أكان **(ق2)** صريحا أم ضمنيا، وهذا الحمل على قبول **(ق2)** على أنه نتيجة للحجة **(ق1)**، يسمى عمل المحاجة، فالحجاج عند ديكرو هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج هذه العلاقة من أن تتوفر في الحجة **(ق1)**، شروط محددة حتى تؤدي إلى **(ق2)**، لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها، وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية[3].

وعلى هذا النحو نخلص إلى أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة أو قد يخفيها، ويكون الدور هنا للمتلقي في استنتاجها لا من مضمون الأقوال بل يعتمد فقط على بنية الأقوال.

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2008، ص22.

[2]- حمادي صمود، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص338.

[3]- المرجع نفسه، ص360-361.

*- (ق1) و(ق2) اختصار القول لـ: قول1 وقول2.

د- الآليات الحجاجية عن ديكروو جون كلود أنسكومبر:

لقد وضع كل من **ديكروو جون كلود أنسكومبر** آليات تضبط العملية الحجاجية والتي هي: السلالم الحجاجية والروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

1- السلالم الحجاجية:

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية من: إقرار التلازم في عمل المحاجة بين الخطاب الحجاجي ونتيجته، ومعنى التلازم وهو أن الحجة لا تكون بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة إلى النتيجة: قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية[1]. والسلالم الحجاجية تراتبية للحجاج يمكن أن نرمز لها كالتالي: [2]

ن: النتيجة

"ب"و "ج"و "د" حجج وأدلة تخدم النتيجة

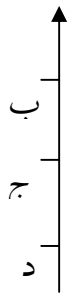

فعندما تقوم الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إذن إلى نفس السلم الحجاجي: "فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

1- كل قول يرد في درجة في السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة.

2- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى نتيجة، فهذا استلزم أن "ج" و"د" الذي يعلوه يؤدي إليها والعكس غير صحيح.

لقد وضع ديكرو وزميله قوانين تحكم السلم الحجاجي، يمكن أن نجملها في ثلاثة وهي:

---

[1]- حمادي صمود، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص338.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص20.

1- **قانون القلب:**

ومقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.

بمعنى أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال[1]. ويأخذ هذا القانون الشكل التالي:

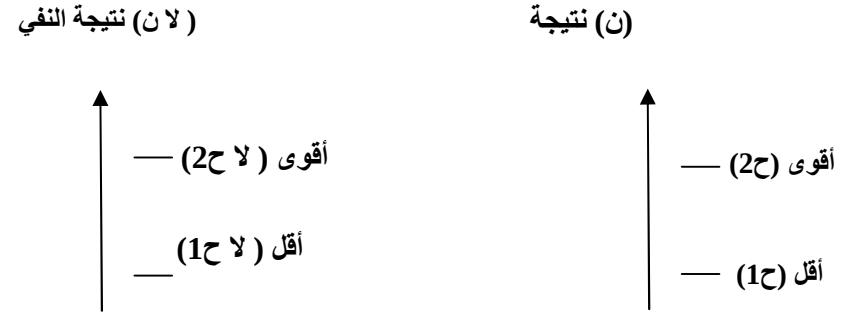

علما أن (**لا**) تمثل مجال نفي الحجج المستعملة للوصول إلى النتيجة. فالحجة (**ح2**) أقوى من الحجة (**ح1**) في نتيجة الإثبات (**ن**)، هذا يستلزم بالضرورة أن تكون الحجة (**لاح2**) أقوى من الحجة (**لا ح1**) في نتيجة النفي (**لا ن**).

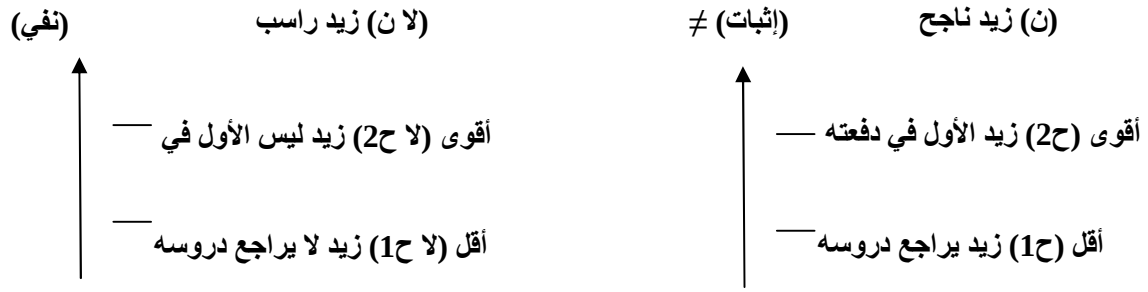

فالحجة (زيد الأول في دفعته) أقوى من الحجة (زيد يراجع دروسه) في حال الإثبات مما استلزم أن الحجة (زيد ليس الأول في دفعته) أقوى من الحجة (زيد لا يراجع دروسه) في حالة النفي.

[1]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص60.

2- قانون النفي[1]:

ومقتضاه أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله. بمعنى أن نفي الحجج المستعملة في سلم حجاجي ما، يؤدي بالضرورة إلى عكس النتيجة المتوصل إليها في ذلك السلم الحجاجي ويمكن التمثيل لذلك وفق هذا المثال:

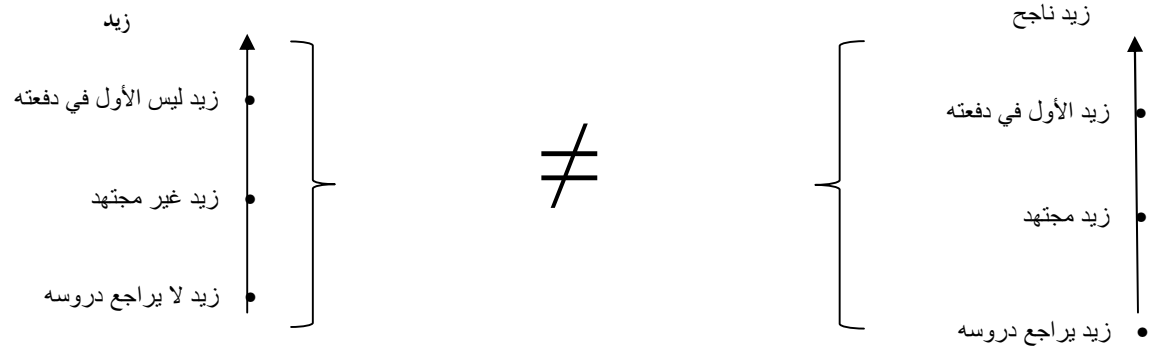

3- قانون الخفض[2]:

ومقتضاه أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها. بمعنى أن المرسل يمكنه تغيير تراتبية الحجج في السلم، اعتمادا على معطيات تؤثر في العملية الحجاجية، مثل استعمال حجج جديدة مقابل الحجج السابقة، تبعا لقوتها أو ضعفها في إيصال النتيجة المرجوة، وتوضيح ذلك يكون وفق المثال الآتي:

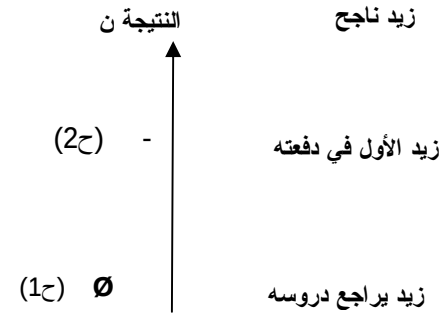

[1]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص61.

[2]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص277.

فلو أضفنا حجة ثالثة (ح3) مفادها (زيد تحصل على العلامة الكاملة)، يصبح عندها الحجاج أقوى والنتيجة أبلغ، وهذا وفق الشكل الآتي:

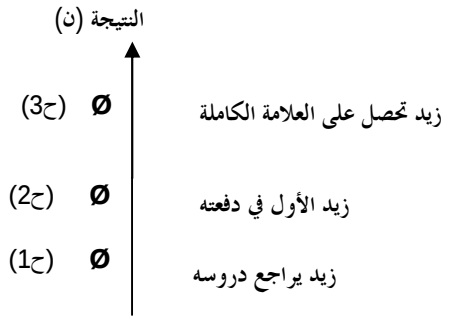

2- القصدية من الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية:

تعتبر من المكونات اللغوية التي تحدث انسجاما في الخطاب وقيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يريده المتكلم، لذا سأحاول ان أقدم لمحة وجيزة مبسطة ومفهومة.

أ- الروابط الحجاجية:

ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى الحجاجية والتداولية، إذ عد بعض الدارسين "إن دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أما بعدها الحجاجي، فقد برز مع ديكرو في إطار صياغتها للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءا من النظرية الدلالية"[1] إذ لم يغفل ديكرو(*) وزميله في أثناء صياغتهما لـ: "**النظرية الحجاجية في اللغة**" هذا الجانب المهم الذي يتمركز في أبنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جدا، لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب، والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم، بمعنى أنها عناصر لغوية تلعب دوراً أساسيا في اتساق النص وانسجامه وربط أجزائه شكلا ومضمونا من أجل تحقيق الوظيفة

[1]- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص32.

* أدرج ديكرو مفهوم الرابط والعامل الحجاجي لأول مرة في مقاله المعنون Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter المنشور سنة 1982. ثم فصل القول بينهما في مقاله المنشور سنة 1983. والذي يحمل عنوان Opérateurs argumentatifs et vise argumentative.

التوجيهية الحجاجية للملفوظات[1]. وبحسب تصور ديكرو، فقد أشار شكري المبخوت إلى تنوع أشكال الربط الحجاجي بقوله: "إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة البنية اللغوية، فإنها تبرز في المكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها[2]".

ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء، وما إلى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبر، وإضافة لذلك نجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي، وتتوزع في مواضع متنوعة من الجملة الحجاجية اللغوية، ومن هذه الوحدات المعجمية: حروف الاستثناء بمختلف معانيها الأسوار "بعض، كل، جميع" وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل وما تخص لوظيفة من الوظائف مثل "قط" أو "أبداً".

ومن هنا ميز أبو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية بقوله: "فالروابط تربط بين قولين أو حجتين على الأصلح (أو أكثر) وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، فالروابط الحجاجية تربط بين القيمة الحجاجية لقول ما والنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة والمحتملة، ولا تربط بتاتا بالمعلوم الذي يتضمنها"[3]

إذن فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر، كما أن الروابط تلعب دوراً مهما في الانسجام اللفظي والتداولي، كما تضطلع بدور استمرارية النص والحفاظ على انسجامه وإسهامه في الاتساع والتدرج. و الاتساق الشامل للخطاب، هذا ومن ناحية أخرى، فإنها تسمح بتدرج وتسلسل القضايا، فهي إذن تكتسي بعدا نصياً.

كما فصل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على أقسام هي:

---

[1]- عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري، كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق، مجلة داوة، فصيلة، العدد33.

[2]- عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري، ص32.

[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص33.

1- **الروابط المدرجة للحجج**: وظيفة هذه الروابط هي سوق الحجج وإدراجها داخل المخطط اللغوي من أمثلتها "حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن، زد على ذلك..." وهي روابط تصل الحجج المحققة النتيجة واحدة.

2- **الروابط المدرجة للنتائج**: تقوم هذه الروابط بسوق النتائج من أمثلتها: "إذن، لهذا، وبالتالي، حتما..."

3- **الروابط التي تدرج حججا قوية**: وظيفة هذا النوع إدراج الحجج الأقوى أمثلتها: "حتى لكن- بل- لا سيما...)

4- **الروابط التي تدرج حججا ضعيفة**: تقوم بربط الحجج الضعيفة أو الأقل قوة أمثلتها حروف العطف: "الفاء- الواو..."

5- **روابط التعارض الحجاجي**: تحوي اللغة العربية كما اللغات الأخرى على عوامل وروابط حجاجية، تجمع بين حجتين لا تنتميان إلى نفس الفئة الحجاجية، حيث تقوم هذه الروابط بقلب موازين التأويل، وإبطال الحجج التي سبقته من هذه الروابط نجد: "لكن، بل ومع ذلك" وينعت "**موشلار**" هذه الروابط بكونها "رابطا فاصلا بين القضيتين المتناقضتين"[1].

6- **روابط التساوق الحجاجي**: تؤلف بطريقة شبه منطقية بين حجج تخدم نتيجة واحدة وتساهم في وضع سلم للخطاب من أمثلتها" حتى- لاسيما..."

من خلال ما سبق نتبين أن الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه، من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما، وبين النتيجة أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول، ومنحها القوة المطلوبة، بوصف هذه الأشياء حججا في الخطاب. لقد أثرت هذه الروابط تأثيراً كبيرا في أدلجة الحجاج في مناظرة الديسي بالخاصية الإقناعية والتأثيرية وهذا ما سنراه بإذن الله في الإطار التطبيقي.

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهي، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص164.

ب- العوامل الحجاجية:

تعد العوامل الحجاجية من أهم الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم في توجيه خطابه نحو وجهة حجاجية ما: لإقناع متلقيه بالنتيجة التي يروم تحقيقها، فالعوامل الحجاجية تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجية للقول الواحد داخل الخطاب، وتزيد طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة ما. وهي من أهم المفاهيم الرئيسية في النظرية الحجاجية التي تساعد المتلقي في الكشف عن معنى النص. فالعوامل الحجاجية تحصر وتقيد الإمكانات الحجاجية التي لا تكون للقول الواحد داخل الخطاب، فالعامل الحجاجي **مورفيم** إذا جرى تطبيقه في محتوى، أو ملفوظ يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ[1].

فالعامل الحجاجي إذا دخل الخطاب أسهم في تقليص الإمكانات الحجاجية للكلام وزاد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما.[2] والعوامل الحجاجية" عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل[3] ويعرف العامل الحجاجي: "بأنه وحدة لغوية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ، والتحول الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه، لا يكون مستمداً من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنما تستمد من وظيفته التحويلية الخالصة، فهو لا يضيف مضمونا خبريا جديداً وإنما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم: ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية للمتلفظ"[4].

فالعامل الحجاجي يؤدي وظيفة شحن الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، وفضلا عن ذلك يؤدي إلى مساعدة المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام[5].

---

[1]- ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2010/2009، ص160.

[2]- مقال من مجلة اوروك، المجلد التاسع، العدد 4، 2016، ص6.

[3]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص21.

[4]- المرجع نفسه، ص4.

[5]- المرجع نفسه، ص4.

وثمة فوارق مهمة ما بين الروابط والعوامل الحجاجية، فالعامل الحجاجي هو الذي يربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، أما الرابط الحجاجي فهو يربط بين فعلين لغويين، فقولنا مثلاً:

نجح علي وعمر، ولكن مصطفى لم ينجح.

فكل قول أو ملفوظ له دور واضح، ومشار إليه ضمن إستراتيجية حجاجية عامة أما العوامل الحجاجية فتختص بالجملة كلها نحو: إدخال أسلوب الحصر أو النفي عليها كقولنا:

ما نجح من الطلبة أحد إلا عمر.

فالعامل غير مرتبط بالمتغير الحجاجي أي الحجة والنتيجة، وإنما يحصر الإمكانية الحجاجية، وللعامل الحجاجي وظائف عدة منها:

1- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج، وذلك بنقل المتقبل من المتعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ بتقييد الإمكانات الحجاجية للخطاب.

2- يقوم العامل الحجاجي بتقوية التوجه نحو النتيجة "ن".

وبعد أن حدد "ديكرو «Ducrot» النوع الأول من المؤشرات اللغوية وهي الروابط الحجاجية، تحدث كذلك عن نوع ثان منها التي تساعد في تثبيت الوظيفة الحجاجية للغة" فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر، تدخل على الإسناد مثل: الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل: منذ الظرفية وتقريبا وعلى الأقل... إلخ ويسميه عوامل حجاجية[1].

3- قرائن تعين على فهم المعنى الظاهر والخفي، كما أنها تعين على تحديد المعاني التي تنجزها ملفوظاتها.

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج عن شكري المبخوت، ص377.

4- يكون العامل الحجاجي هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ حتى ينزل الملفوظ في درجة الحقيقية من السلم، فيكون أقرب لتحقيق المفهوم والنتيجة تبرز هذه الوظيفة خاصة في روابط التساوق الحجاجي.

5- للعامل الحجاجي نصيب الأسد في تحديد مبدأ الإفادة، فيقوم العامل بتكثيف المكونات الحجاجية داخل الخطاب، ويمنح الوظيفة الحجاجية شحنة إضافية من خلال إقصاء تأويلات معينة وتوجيه دفة التأويل نحو مقاصد بعينها.

6- العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية بل هي ناجمة عن توجيه، تحكمه المشيرات اللغوية الحجاجية.

إن فهم القارئ للنص ينبغي ألا يقتصر على منطوقه أو مقتضاه المعجمي أو الاستلزام الحواري فلا بد للقارئ أن يفهم أثر الروابط والعوامل الحجاجية في الكشف عن معنى النص لما لها من أثر كبير في عملية التوجه الحجاجي[1].

وقد أثبتت الدراسات الحجاجية: "أن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج له مؤشر في بنية اللغة نفسها[2]"

- **عاملية أدوات النفي**:

يعد الحجاجيون النفي عاملا حجاجي يحقق به المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة "ن"[3] وإذا كان النفي في عرف المناطقة: "هو العامل الذي يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة، والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي[4]"

فإنه في الدرس النحوي غير بعيدعن معناه في الدرس المنطقي، فقد قال ابن يعيش (ت643ه): "اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون

---

[1]- مقال العوامل الحجاجية آيات الإحكام، مجلة الأثير، ع26، ص75.

[2]- ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة، ص158.

[3]- المرجع نفسه، ص69.

[4]- سليمة محفوظي، العوامل الحجاجية، بحث منشور على الانترنت الموقع www. akharak. net/news. net

على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما في الآخر إيجاب"[1] فقد عده ابن يعيش إكذابا وفي الإكذاب توجيه للملفوظ، والمتقبل نحو النتيجة التي يجب أن يصدق بها المتقبل قصراً إذ محتوى القضية بلفظها لم يغير سوى النتيجة من جراء سلطة العامل عليها لذلك قال: "فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما"[2]

وبين الملفوظين المثبت والمنفي يوجد فرقان مهمان:

أولهما شكلي: ويتمثل في النفي في صدارة العامل "عامل النفي" في مستوى الحيز النطقي أو الكتابي الداخل على القضية مثل: "يفلح الظالمون ولا يفلح الظالمون".

والآخر مضموني ويتمثل في حصول المفهوم من النفي، فلئن كانت جملة "يفلح الظالمون" مما يمكن أن يقال على الابتداء، والعمل اللغوي فيها هو الإثبات، أي إثبات حقيقة يؤمن بها طرف آخر.

إن عاملية النفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيه جمهوره إليها.

لذلك كان ديكرو في معرض حديثه عن النفي يركن دائما إلى المفهوم وهو:

"لماذا قال المتكلم ما قال؟ "ليحدد التوجه الحجاجي للملفوظ والنفي توجيه على توجيه لذلك بمجرد إدماج عامل النفي تحدد النتيجة "ن" بسرعة ولا يوجد المتقبل حرج أو كد ذهني في إدراك المفهوم، إضافة لذلك فله قيمة مضافة، وهي على حد عبارة ديكرو: "أنه ضروري لوصف البنية (الدلالة العميقة) للملفوظ الذي يبدو غير منفي"[3].

---

[1]- محمد بن ابي يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع بعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001، ج5، ص31.

[2]- شكري المبخوت، عامل النفي وخصائصه في العربية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2011/2010، ص172.

[3]- المرجع نفسه، ص50-51.

ولقد حصرت اللغة العربية حروف النفي من قبيل "لا، لن، لم، ما" ويصدق عليها قول إنسكومبر "يوجد في اللغة صرافم عوامل حجاجية تشد الملفوظ وتبدل/ توجه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في البداية"[1].

سادسا- الدراسات العربية القديمة والحجاج:

لم يقتصر الحجاج بوصفه ممارسة على الثقافة اليونانية، ولم ينتقل إلى الشعوب بفعل المثاقفة، بل هو صفة جبل وفطر عليها الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا، فكان منشأه الأول الشعر العربي والخطابة في عصر ما قبل الإسلام، فكان نزول القرآن الكريم الدافع الأساس لظهور العلوم. ولكونه أسمى خطاب لغوي وجهه المولى عز وجل للبشرية جمعاء فكان أول مصدر يستنبطون منه القواعد التي تخضع لها البلاغة العربية، ولأنه خطاب حجاجي موجه أساسا للتأثير على آراء المخاطب، وسلوكياته، واستمالة العقول، وتوجيه النفوس، فمن خلال الخطاب القرآني انفتحوا على العالم، ولأنه شكل تحولا فكريا وحضاريا في البيئة العربية لما فيه من تأثير وإقناع.

إن القرآن الكريم طاقة روحية هائلة، ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يميز الوجدان ويرهف الأحاسيس والمشاعر، ويصقل الروح، ويوقظ الإدراك والتفكير، ويجلي البصيرة، بمعنى أن الآيات القرآنية الكريمة، تحمل في ثناياها قوة إقناعية تهدف إلى استمالة عواطف المتلقي والتأثير في أفكاره، وسلوكه هنا، ما يؤكد أنه نزل للناس كافة بما يحمله من قوة تأثير وإقناع.

ولهذا نجد من أنجح الأساليب الإقناعية التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى الله، أسلوب الترغيب بشقيه: المادي: "ما كان محسوسا مرغوبا لدى النفس البشرية" والمعنوي: "الأفعال، السلوك..." فنجد القرآن قد أوصى وجادل وحاج وحاور فهو خطاب حجاجي بامتياز، فقد وردت الكثير من الآيات تحمل معنى الحجاج، كما في قوله تعالى:

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص50.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام 149

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ غافر 47

﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الشورى 15

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ الشورى 16

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الشورى 16

﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الجاثية 25

إن الحجاج في القرآن الكريم يهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة والحجج العقلية والكونية والفطرية، إثباتا لحقيقة الإسلام، والإيمان بالله ورسله وجزائه.

أ- الحجاج عند الجاحظ:

حاول الجاحظ وضع نظرية للبلاغة الحجاج والإقناع من خلال كتابه البيان والتبيين والذي ربط فيه البلاغة والبيان، فهي عناصر للخطاب الحجاجي، والدليل هو التعريف الذي قدمه للبلاغة مع وظيفتها الإفهامية والإقناعية. حيث يقول" حدثني صديق لي. قال: قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسه ولا إستعانة، فهو بليغ فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق"[1].

وكذلك ما أورده الجاحظ عن ابن المقفع حينما سئل ما البلاغة؟ فقال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط7، القاهرة 1998، ج1، ص113.

ما يكون رسائل"[1] ومن خلال هذا تظهر وظيفة البلاغة في تحقيق الإقناع ودورها الفعال في العملية الحجاجية.

والبيان عن الجاحظ هو الوصول إلى الغاية المنشودة بين طرفي العملية التواصلية (القائل- السامع) والمتمثل في الإفهام: "فالبيان هو البلاغة وهو الحجاج إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير... إنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي... لذا فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان"[2].

فالجاحظ تطرق لأهم العناصر التي يمكن من خلالها إنجاح العملية التواصلية وإقناع المخاطب، ويؤخذ بالاعتبار والمقامات والأحوال، ولأنه يتعامل مع كل جنس على أنه خطاب وله خصائصه التي تميزه على مستوى الشكل، ولأنه من أقطاب البلاغة القديمة نجده ألف كتابه "البيان والبينيين" رداً على الذين رفضوا وألصقوا به تهما عديدة وقد أوضح ذلك في قوله: "... ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة وكتب مقاييس وسنن وتبين وتبيين... لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريق تعظيم الملة"[3].

ونخلص أن مفهوم البيان إجرائي تتنازعه وظيفتان أولاهما إفهامية والثانية حجاجية إقناعية، بوسائل مختلفة لغوية وإشارية خاصة، وهذا ما أكده محمد العمري في قوله "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومان وظيفتان:

البيان معرفة: الوظيفة الإفهامية، البيان إقناع: الوظيفة الاقناعية[4]".

ب- الحجاج وأبو هلال العسكري:

شرح أبو هلال العسكري الحجاج في الفصل الحادي والثلاثون، تحت عنوان: "في الاستشهاد والاحتجاج" بقوله: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ص76.

[2]- المرجع نفسه، ص67.

[3]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص194.

[4]-المرجع نفسه، ص194.

ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"[1] حيث أكد انه لا يمكن الإقناع أن يتخذ سبيله إلى ذهن السامع إلا إذا نجح المتكلم في معرفة شخصية سامعيه وتكييفه خطابه وفق المكانة الاجتماعية التي يحتلها المخاطب حيث يقول: "ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة لأن ذلك جهل بالمقامات وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال"[2].

فنجاح عملية التواصل يكلفها مراعاة المقام مع الابتعاد عن الغموض لأن "الوحشي من الكلام بفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي"[3].

تعد آراء العسكري من صميم نظرية التلقي التي تجعل: "دور المتلقي مركزيا في تحديد المعنى، لأن الوعي الداخلي لهذا المتلقي هو المحدد للدلالة"[4].

فقد لمح إلى وجود الحجاج في الشعر، إذ إن الشاعر يحسبه يستميل القلوب إليه ويؤثر فيها" وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العركية الأدبية المستعصية، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة"[5]. فالشعر عنده يضطلع على نوع من الحجاج لأنه مؤثر به الشاعر استمالته للمتلقي بتوسله باللغة وبتقنياتها، وقد نقل لنا أبو حيان التوحيدي **(ت414ه)** عن ابن نباته قوله: "من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعنى أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين، يقول: قال الشاعر، وهذا كثير في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر صاحب حجة، والشعر هو الحجة"[6].

---

[1]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص86.

[2]- المرجع نفسه، ص99.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، مج 1، ص104.

[4]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص82.

[5]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص158.

[6]- التوحيدي، الامتناع والمؤانسة، ص98.

ج- الحجاج عن السكاكي:

ربط السكاكي علم البيان بالحجاج، لأن فروعه بمثابة الدليل الإقناعي للآخر. فهو يقول: "من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، ووقف على كيفية مساقه، لتحصيل المطلوب به أطلعه على ذلك نظم الدليل".[1]

فقد عالج موضوعات البلاغة في ثلاثة محاور كبرى: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع: "فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى خلال كلام معين، ويستهدف علم البيان البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام، وإضفاء جمالية التعبير، وعليه إن البلاغة إذن هي الطريقة لبيان البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام وإضفاء جمالية التعبير عليه إن البلاغة إذن، هي الطريقة والوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل وقلب السامع وما يقتضيه ذلك من وضوح ومحسنات وإبانة وإظهار وإقناع.[2]

أولى السكاكي اهتماما خالصا بالمقام، إذ يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتدء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار. ومقام البناء على السؤال يغاير مقام الكلام الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام من باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام ولما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال".[3]

---

[1]- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زورور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص86.

[2]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال، ص108.

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص168-169.

والمعنى هنا هو تنوع المقامات وتعددها بحسب أحوال المتكلم وأحوال المخاطب، وتناول كذلك أدوات الحجاج، فقد أحاط السكاكي بكل الجوانب المؤثرة في عملية التخاطب، فقد تناول الجانب اللساني، وما يقتضيه حسن التركيب من سبك وحبك وصياغة متينة، والابتعاد عن الكلام الوحشي، وبين أنواع المقامات، وأعطى لكل مقام الصبغة التي تناسبه، وكذا أهمية العلاقة بين المبدع ونصه.

سابعا- الحجاج عند المحدثين العرب:

أما في الدراسات المعاصرة، فعرف الحجاج عناية كبيرة من الباحثين العرب، فقد غدا علما قائما بذاته، فهناك كثير من المفكرين أسهموا بشكل كبير في بناء نظرة جديدة للدرس الحجاجي، فانطلقوا بالبلاغة العربية من الإرث العتيد لتأصيل مقاربة نقدية تمكن من الانفتاح على مختلف نتائج المناهج القديمة والعلوم الإنسانية الحديثة، والاستفادة منها، وهو ما يتيح فتح آفاق جديدة لدراسة المخزون والتراث البلاغي العربي الغني، وفق منظور حداثي بناء على المزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي، نتجت عنها بلاغة جديدة بنكهة عصرية.

أ- الحجاج عند طه عبد الرحمان:

دراسته للحجاج ذات طابع فلسفي كونه أستاذ للمنطق وفلسفة اللغة من جهة، ولاهتمامه وتعمقه بالدراسات الفلسفية المنطقية من جهة أخرى، أي أنه قدم رؤية عربية إسلامية معاصرة لمفهوم الحجاج وآليات اشتغاله وذلك من خلال مصنفين هما:

1- في أصول الحوار وتجديد الحوار:

حيث أورد تعاريف مختلفة للحجاج، ولعل أهمها: "أن الحجاج فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي. . . وهو ّأيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات الضيقة". [1]

[1]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000، ص65.

كذلك يرى أن الحجاج: "فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه استنادا إلى موضوعات البحث عن الحقيقة الفلسفية".[1]

ربط طه عبد الرحمان الحجاج بالحوارية، وجعله مسلكا، لأن الحوار يعتمد الاستدلال، والحجاج نوع من أنواع الاستدلال فإذا جاء أن المحاورة تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي، جاز معه أنها تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضيقة[2].

أي أنه يتحدث عن الحجاج تارة على أنه فعالية تداولية، جدلية، وتارة أخرى بوصفه فعالية استدلالية خطابية.

2- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:

فقد بين في مدخل الكتاب الخاصية المميزة للفعل العقلي الإنساني، مبينا الفرضيات الأربع التي دارت عليها فلسفة المعرفة علم اللغة وهي: التعدد المعرفي والتراكم المعرفي والتوليد[3]، المعرفي والتعدد الصوتي، مبرزا الخصائص الأساسية لكل فرضية منها وحدودها العامة.

فنجده عقد بابا سماه الخطاب والحجاج الذي يؤكد من خلاله على أن الأصل في تكوثر الخطاب صفته الحجاجية، انطلاقا من أنه لا خطاب بدون حجاج[4].

ووفق رؤيته هذه يتصف الحجاج عنده على قصدين:

1- **قصد الادعاء**: فهو: "الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقوله من نفسه، وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله".[5]

---

[1]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66.

[2]-المرجع نفسه، ص46.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

[4]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص213.

[5]-المرجع نفسه، ص213.

2- **قصد الاعتراض**: وهو من المخاطب أو المنطوق له: "وهو عبارة عن مخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي[1].

ومن هنا صح المنطوق أن يكون خطابا، بتوفر القصدين إذ حد الحجاج وصلا بما سبق بـ: "أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهام دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها.[2]

فقد صنف الحجاج إلى:

1- **الحجاج التجريدي**: الذي ينبني على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام، وهو من المراتب الدنيا للحجاج.

2- **الحجاج التوجيهي**: وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل المستدل حجته إلى غيره، فالقصد والفعل عماد التوجيه.

3- **الحجاج التقويمي**: هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية، ينزلها منزلة المعترض على دعواه أو ما يسمى بالتشخيص، أي أنه ينبني على فعل الإلقاء والتلقي معاً على سبيل الجمع والاستلزام.

كما أنه يفرق بين الحجاج والبرهان، فالأخير ينبني على الاستدلال أي أنه يقوم على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد، أي أن الحجاج يقوم على اعتبارين بحسب رأيه:

الأول: اعتبار الواقع أو طلب معرفة الواقع، و**الثاني**: اعتبار القيمة أو معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته، فضلا عن تصنيفات الحجج المتعددة والمفضلة.

وركز كذلك على خاصية هامة للحجاج وهي الحوارية أو المحاورة على أنها تعد نقطة مفصلية في النظرة الحجاجية، [3] ويذهب أيضا إلى أن الحجاج لا يدور على الألسن بالدرجة نفسها، التي يدور عليها لفظ التواصل، لأنه فعالية تداولية جدلية. . . تداولي لأن

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص225.

[2]- المرجع نفسه، ص226.

[3]- المرجع نفسه، ص227.

طابعه الفكري مقامي اجتماعي، وهو جدلي أيضا لأن هدفه إقناعي قائم ببلوغه عن التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة[1].

أما في كتابه "الخطاب والحجاج" فقد انتقل من حاجيات الأقوال والجمل إلى حاجيات الخطاب، فكان هدفه هو السعي إلى تطوير النظرية الحجاجية، وتوسيع مجال تطبيقها ليشمل مختلف النصوص الدينية والأدبية والسياسية والتاريخية والصحفية الإشهارية وكل نص هو خطاب ينجز باللغة الطبيعية الحجاجية. [2]

ب- الحجاج عند أبي بكر العزاوي:

تعد الآفاق الحجاجية العربية مواكبة لما قدمه المفكرون الغربيون، ولاسيما أن ثمة جذور بين البلاغة الغربية والعربية. فضلا عن قيام النقاد العرب بترجمة أو قراءة المصادر الغربية الحديثة –خاصة المغرب الأقصى، فقد أحدث قفزة نوعية في المجال الأدبي والنقدي واللسانيات- التي أولت الحجاج اهتماما فائقا، فجاءت ثمرة هذه القراءات والترجمات متفرقة بين كتاب وبحث ومقال عند الباحثين العرب، لكنهم لم يأتوا بآراء متباينة عند الغرب، لكن التطبيقات جاءت عندهم مختلفة، وهذا لميزة النص العربي.

ويعد أبو بكر العزاوي بحكم انفتاحه على الدراسات الغربية اللغوية، ويعد من رواد النظرية الحجاجية، أو يكاد الدرس الحجاجي المعاصر يرتبط به ارتباطا وثيقا، إذ يعد من المشاريع الجديدة للدراسات الحجاجية. له مجموعة من الكتب والمقالات أهمها: "اللغة والحجاج" و"الخطاب والحجاج" ويرى أن النظرية الحجاجية الحديثة انطلقت من "أوستن" و"سيرل" اللذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية، وقد قام ديكرو بتطويرها، والمراد عنده من مفهوم الحجاج هو ما أسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.[3]

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص288.

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص35.

[3]- المرجع نفسه، ص14-10.

وقد ركز العزاوي على السلم الحجاجي الذي من خلاله يمكننا قياس التدرج الحجاجي في الخطاب: "فعندما تقوم الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتسم بأن كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه".[1]

واهتم أيضا في أبحاثه بالروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، إذ إن الأولى تربط قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر. وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، حيث درس بعض الروابط الحجاجية مثل: (بل/ لكن/ الواو/ حتى/ إذن/ لم/ ...الخ).

ودرس كذلك ظاهرة الاستعارة مع إبراز لبعض مظاهرها الحجاجية، منطلقا من مقال" **ميشال لوغرن**" الموسوم بـ "**الاستعارة والحجاج**"، وأشار إلى أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية جداً[2].

فقولنا مثلا: **زيد أسد**، أقوى حجاجيا من قولنا: **زيد شجاع**، وركز على الصورة الإشهارية وهي الصورة الحجاجية الإقناعية، فهو يطرح أسئلة بخصوص حجاجية الصورة ولاسيما البنية الداخلية، يطرح أسئلة بخصوص حجاجية الصورة، ولاسيما البنية الداخلية للصورة/ الخلفية المعرفية: "الأيديولوجية للصورة/ المزاوجة بين المكونات اللغوية والمكونات الأيقونية/ الحجاجية الإقناعية لها".[3]

ويعد العزاوي أيضا صاحب السبق في الدراسات العربية الحديثة في هذه المزاوجة، أي المزاوجة بين الصورة اللغوية وعناصرها الأيقونية ضمن المركب الأيقوني التصويري، إذ يقول: "ولم يسبق بحسب علمي ّإن طبقت هذه النظرية على الصورة

[1]- محمد السالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ص58

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص102.

[3]- المرجع نفسه، ص120.

الإشهارية أو الظواهر الأيقونية بشكل عام"[1]. فقد حاول توسيع نظرية الحجاج، فالحجاج عنده ليس مجاله القول والجملة فحسب، "وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار، حيث تتجلى طرائق اشتغاله، وتظهر وجوه استعماله"[2].

وبالتالي كل أنواع الخطاب ذو طابع حجاجي حيث يصفه بصفات تجعله: "مفارقا الأنساق المنطق هي أنه: نسبي ومرن وتدريجي ذو طبيعة سياقية"[3]. بمعنى أنه **(الحجاج)** لا يستتبع المتلقي بطريق القهر النظري على تقبل الرأي المخالف، بعد إبطال حججه، وثنيه عن رأيه، فالجهد المبذول ذو بعد إقناعي إفحامي حواري، ينهض على مبادئ ذات طابع تداولي.

ثامنا- خصائص النص الحجاجي:

للنص الحجاجي خصائص تجعله يتميز عن باقي النصوص جمعها "**بنوا رونو**" " Benoit Renaud" فيما يلي:

1- **القصد المعلن**[4]: وهو البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام، وقد نجح رجال الإشهار في استعمال هذه الفكرة في التواصل بهدف تحقيق ما يطمحون إليه[5].

2- **التناغم**: النص الحجاجي نص مستدل عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق من التسلسل والأحكام، "وهو الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات في المتلقي بقصد الطف المحاج"[6].

---

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص125.

[2]- المرجع نفسه، ص129.

[3]- المرجع نفسه، ص129.

[4]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص117.

[5]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص63.

[6]- المرجع نفسه، ص36.

3- **الاستدلال**: وهو سياقه العقلي، أي تطوره العقلي، ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعا إلى غاية مشتركة .

4- **البرهنة**: وعلى أساسها ترتب الحجج، وكل تقنيات الاقتناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى ألطف فكرة وأنفذها .

وأهم خاصية هي الخاصية الحوارية أو التحاورية، فالنص الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقي، يقوم المحتج من خلاله بإقناع المتلقي بفحوى خطابه .

هي خصائص تميز النص الحجاجي، تقودنا إلى تحديد ملامح الحجاج التي وضعها "تيرلمان وتيتيكاه" وهي تتمثل في:

- أن يتوجه إلى مستمع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- أن مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- أن لا يفتقر إلى ضرورة منطقية.
- أن لا تكون نتائجه ملزمة.

كلها ملامح سمات وخصائص تجعل من النص نصاً حجاجيا، غير أن أهم خاصية يتميز بها هي الحوارية أو التحاورية، فالنص الحجاجي في جوهره حوار بين المحاج والمحاجج كل واحد يقوم بإقناع الآخر بفحوى خطابه[1].

كما نجد طه عبد الرحمان يميز الخطاب الحجاجي عن باقي الخطابات الأخرى بكونه "خطابا مبينا وموجها وهادفا، مبنيا بناء استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية، تتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة"[2].

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص28.

[2]- عبد السلام عشير، حينما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، 2006، ص128.

ومن هنا سأحاول تبيان الخصائص المميزة للخطاب الحجاجي عن بقية الخطابات الأخرى وهي:

1- خاصية البناء والدينامية:

إنها عملية ترتبط بميدان اللغة في علاقتها بالإنسان والعلم عبر تقنيات التي تبلور الأفكار، وتلك العلاقات وتلك التمثلات، سواء تعلقت بمنطق الحياة وكل ما يتعلق بها أو بمنطق اللغة أو العقل، لذلك تأتي فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بناء وتفاعل عناصره وديناميةمكوناته.

فالتقليل في الأدلة الحجاجية له دور مهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة والحشو في سرد الحجج تفقد الحجاج فعاليته وقوته، لذلك ينبغي التركيز على الحجج القوية، كأن يجيب عن حاجة أو مطلب أو انتظار معين، بالبحث عن الأسباب الدقيقة التي تبرز وتفسر أسسه وتطلباته بالتدليل بالحجة الملائمة والمؤثرة[1].

2-خاصية التفاعل:

يبني الحجاج على مبدأين معرفيين أساسيين هما: مبدأ الادعاء ومبدأ الاعتراض، يؤديان إلى اختلاف في الرأي وطبعا يؤدي هذا إلى تحقيق نوع من التزاوج الظاهر أو التزاوج المفترض للمخاطب والمخاطب، وقد ينشأ هذا التزاوج ازدواج في مختلف العملية الحجاجية وهي حسب طه عبد الرحمان:

- ازدواج القصد: بمعنى حصول الوعي بالقصدين عند كل منهما.
- ازدواج المتكلم: كأن المتكلم يتكلم على لسان السامع.
- ازدواج الاستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتكلم في سمعه.
- ازدواج السياق: يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل هذا الخير نصيبا من سياق الإنشاء.

[1]- عبد السلام عشير، حينما تتواصل نغير، ص129.

إذن التفاعل هو ازدواج بين المتكلم والمتلقي، وهنا يكمن مربط الفرس في أهمية التفاعل بين الطرفين في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما، بحيث تضم كل الإمكانات الخطابية الخاصة بمقام ما.[1]

3- خاصية الالتباس:

إذا كانت اللغة الطبيعية أصلا لكل غموض دلالي ومجالا لكل انزياح ومجاز لساني، لذا فالأمر معقد للعملية الحجاجية، أي أن الحجاج هو عمق الالتباس لأن المجال يبقى مفتوحا أمام مهارة وثقافة المتكلم في فن القول، وإظهار كفاءته الإبداعية كي يصل لإقناع الآخر والتأثير فيه، فالالتباس يأتي عن طريق المجاز الذي هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارتها ويكون جامعا بين معنيين متقابلين هما العبارة والشارة.

ولا تتم هذه العلاقة فقط عن طريق الصورة البلاغية الرمزية التي تدخل فيها كل الدلائل اللسانية وغير اللسانية، وهذا ما يجعل الحجاج يحرك آليات الفهم والتأويل لدى المتلقي.[2]

4- **خاصية التأويل**:

تقوم هذه الخاصية على تقسيم إيجابي أو سلبي للقول الحجاجي، وتكون على مستويين: الأول على طريق استقبال القول كعلامة لغوية يحول فيها الرسالة من السنن إلى الخطاب، أما الثاني فتتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل، أي فهم أولي لمعنى القول ثم فهم ثاني وهو تأويل لمعنى القول.

5- خاصية الاعتقاد[3]:

تقوم العملية التخاطبية على استهداف اعتقادات الإنسان، لأنها ترتبط ببعض القيم الإنسانية، ولأنها ملتقى الأخلاق المقبولة، فهي تخضع للتحليل العلمي والتمحيص الدقيق، ولا تقوم على قواعد مضبوطة بقدر ما تقوم على أنساق فكرية، وعلل تمتزج فيها الأقوال

[1]- عبد السلام عشير، حينما نتواصل نغير، ص130.

[2]- المرجع نفسه، ص131.

[3]- المرجع نفسه، ص132-133.

بالأفعال، والمبادئ بالمسلمات والأقوال الكونية بالأقوال السياقية الظرفية، كلها تتفاعل لتؤسس أحكام القيمة، غير أن هذه الاعتقادات الجماعية لا تفرض نفسها فرضا بل يكون لها معنى بالنسبة إلى كل فاعل، وهو لا ينشأ من فراغ، بل هو نتاج وحصيلة لعمليات تواصلية إقناعية، يلعب فيها الحجاج دورا مركزيا.[1]

6- **خاصية الانتهاض إلى العمل**:

لكل قول حجاجي رد فعل معين، قد يكون العدول والكف عن عمل ما أو تحويلا لمساره، هذا التغيير يدل على حدوث الإقناع، وهو لا يحصل لدى المستمع إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، لأن المطابقة دليل وحجة مادية دامغة تزكي موقف المتكلم وتؤكده وهاته الخاصية يسميها طه عبد الرحمان "**مبدأ الانتهاض إلى العمل**" فهي مبدأ أساسي ومحوري في كل الجوانب التواصلية والخطابية والتعاملية لأنها الدليل الذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل[2].

أ- **البناء الحجاجي في الخطاب**:

يمكننا أن نعتبر كل قول مبني على متكلم ومتلق ورسالة بينهما لها غاية أو مقصد معين، خطابا في أبسط مفهوم له، والخطاب الحجاجي خطاب يشترك مع باقي الخطابات من حيث شكله، أي أنه يبنى على مثل ما بني عليه غيره من الخطابات اللغوية، إلا أنه قد يختلف معها في الوظائف .

فطبيعته تستدعي طرفين أساسين ينتجانه، ويعتبران هما أساس العملية الحجاجية فيه، وقد اختلفت التسميات التي تطلق عليها باختلاف النقاد.

فجاكبسون "Jacabson" مثلا يطلق عليها: المرسل والمستقبل، وأوستين "Austin" يسميهما: المخاطب والمخاطب، فمعرفتهما وطبيعة كل منهما، أمر ضروري له دوره في تحديد بنية الخطاب.

---

[1]- عبد السلام عشير، حينما نتواصل نغير، ص133-134.

[2]- المرجع نفسه، ص124-135.

ب- أطراف الحجاج:

- **المخاطب (المرسل)**: وهو الطرف الذي يسعى دائما إلى الإقناع أو التأثير في المتلقي واستمالته، وبحسب طبيعة الخطاب قد يكون هذا الطرف ممثلاً في شخص واحد، وقد تمثله مجموعة من الأشخاص، وأبرز سمة له هي: السعي إلى إقناع المتلقي أو تغيير رأيه بداية بمخاطبة العقل وتحريك العاطفة والتأثير فيها بواسطة اللغة، وأن يكون على علم بوضعية مخاطبه ورغباته وميوله، ونطلق عليه اسم المحاجج باعتباره صاحب المبادرة في تقديم الحجج التي من خلالها إلى بناء فكرته أو موضوعه أو رأيه الذي يريد إقناع غيره به.

- **المخاطب (المستقبل)**: وهو طرف المقصود بعملية الحجاج، وقد يكون شخصا واحدا أو عدة أشخاص، يسعى المخاطب إلى إقناعها، أو التأثير فيها من خلال خطابه، وهو ما يطلق عليه اسم المحجوج باعتبار العملية الحجاجية.

ويبني الحجاج عند "**باتريك شارودو**"، "Patrick Charoudeau" على عدة عناصر تعتبر أساسه[1]:

- Ø خبر عن العالم يجب أن يمثل إشكالا بالنسبة إلى شخص ما.
- Ø فاعل يلتزم بهذه الإشكالية (قناعة)، وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة لهذا الخبر.
- Ø فاعل آخر مهتم بالخبر نفسه إشكالية وحقيقة، هو الذي يشكل هدف الحجاج، الأمر يتعلق إذن بالشخص الموجه إليه الفاعل المحاجج، على أمل استدراجه نحو الاقتناع أو الرفض.

- **الأطروحة أو الإشكالية:**

وهي الموضوع المطروق في النص بين طرفين يسعى كل منهما إلى البرهنة ليؤسس حقيقة ما ونفي الأخرى، ومن هنا نتبين أنها نوعان:

أ- الأطروحة المدافع عنها:

[1]- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص56.

وهي القضية التي يسعى طرف إلى فرضها بإقامة الحجج والبراهين واستمالة الطرف الآخر لقبولها.

ب- الأطروحة المدحوضة:

وتكون ضد الأولى في الطرح فيسعى إلى تفنيذها، ودحضها وفق قناعة مبنية على حجج وبراهين كذلك.

- **الحجج:**

تتنوع الحجج بتنوع النصوص والخطابات وخصائصهما معا ونجد:

أ- **حجج لغوية**: الأدوات التي تنظم العلاقات والحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق، [1] بمعنى أنها قد ترد على شكل قول أو فقرة أو نص أو مشهد طبيعيا أو سلوكا غير لفظي، وقد تكون الحجة ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، ولها عدة سمات منها:

Ø **أنها سياقية**: الذي يصير فيه العنصر الدلالي حجة، وهو الذي يمنحه طبيعة حجاجية كل بحسب السياق.

Ø **أنها نسبية**: لكل حجة قوة حجاجية معينة، قد تكون قوية ضعيفة وهناك الحجج الأوهى والأضعف .

Ø **أنها قابلة للإبطال**: تخضع لقوة الخصم في دفع حجة الطرف الآخر فهي العلاقة الحجاجية التي تربط بين الحجة والنتيجة، وعلاقة السلم الحجاجي إذا كانت ترتيبية للحجج .

[1]- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص56-57.

2- المرجع نفسه، ص57.

ب- **الحجج غير لغوية**: "أن كل العمليات المنطقية اللسانية تساهم بطرق متباينة– بصفة مباشرة أو غير مباشرة– في الانتظام الحجاجي للخطاب".[1]

تاسعا- ماهية المناظرة:

تتعد الخطابات الحجاجية إلى أنواع متباينة، ويأتي هذا التباين تبعا لتعدد الاستراتيجيات التي يسلكها كل نوع، فهناك نصوص برهانية تقوم استراتيجيتها الحجاجية على البرهنة، والروابط المنطقية، ثم نصوص تفسيرية تتخذ فيها الذات المتكلمة موقع حياد ظاهري، فتصوغ ملفوظاتها بأسلوب يعتمد على سرد المعلومات والمواضيع والأفكار بنوع من التدرج والتنامي، وأخيرا نصوص سجالية تتشكل بطريقة حوارية وجدلية بين أقطاب تلفظية حول قضية ما، غايتها إقناع الآخر من أجل تغيير موقفه، أو تعديل سلوكه، ودفعه إلى الاعتقاد بالأطروحة المقترحة والتخلي عن الأطروحة المدحوضة.[2]

وتتدرج المناظرة باعتبارها خطابا حجاجيا ضمن النوع الثالث، فما المقصود بالمناظرة في التراث النثري العربي القديم؟. وما ظروف نشأتها؟. وما المقومات التي تميزها عن الأشكال الحجاجية الأخرى.

أ- المناظرة لغة:

ترجع لفظة "**مناظرة**" في أصلها الاشتقاقي إلى فعل "ناظر" على صيغة "فاعل"، التي تعني في علم الصرف العربي اشتراك شخصين في أداء عمل واحد وفي الوقت عينه، وبالعودة إلى المادة اللغوية التي اشتق منها هذا الفعل وهي مادة "**نظر**" نجد أنها أصل لمجموعة من المعاني المختلفة، فقد ورد: "المناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه، وتناظرت الداران إذا تقابلتا.[3]

---

[1]- عبد العزيز الحويذق، الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة للملحدين، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010، ص316.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة (ن ظ ر)، ص219.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص219.

ويبدو من خلال التعريف اللغوي أن المناظرة: نظر من جانبين في أمر ما، كما تدل على المقابلة، وفي المعجم نفسه ورد ما يلي: "التناظر: التراوض في الأمر".

Ø وهنا انتبه الدكتور محمد حسن عبد الله إلى أن تعريف ابن منظور يحدد المناظرة بوصفها حواراً دون سطوة أو استكراه، ولذلك فسر هذا الباحث الترويض على أنه إعادة التكوين[1] "والنظير: المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك... وحكى أبو عبيدة: النظر والنظير بمعنى الند والنديد... والنظائر جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال... ويقال ناظرت فلانا: أي صرت له نظيرا في المخاطبة..."[2].

Ø يتضح من خلال لسان العرب أن مادة "نظر" غنية بالعديد من الدلالات المختلفة، منها: التماثل والتشابه، والتقابل، والصراع... ومهما اختلفت هذه المعاني، فإنها كلها ترتبط ارتباطا مباشرا بالمناظرة في مفهومها الاصطلاحي، ولعل ما يجمع تلك المعاني – بالرغم من اختلافها – كونها توحي بوجود جانبين إما متماثلين أو متكافئين أو متقابلين أو متصارعين... وهذا هو جوهر المناظرة.

ب- المعنى الاصطلاحي للمناظرة:

تعددت تعريفات العلماء للمناظرة، وتباينت حدودهم فنجد ابن خلدون (**ت808هـ-1406م**) يسوقها ردفا للجدل فيقول: "وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم"[3]. ويضيف تعريفا للجدل والمناظرة معا:

---

[1]- محمد حسن عبد الله، المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافي ومتى، مجلة البيان، العدد 368، الكويت، مارس 2001، ص34.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة ن. ظ. ر، ص220.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط5، 2007، ص466 .

"إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأيه أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"[1].

إن المناظرة في جوهرها تتصف بالمواجهة الخطابية بين طرفين حول قضية معينة، مما جعلها خطابا حجاجيا، فارتبط لفظها بالمنازعة الفكرية والمحاججة والمناقشة والإقناع ... قصدا إظهار الحق والصواب، وليس الجدل والخصومة، فالمناظرة بهذا المفهوم نقاش منظم بين فردين يتبنيان قناعات فكرية ومعتقدات مختلفة، أساسه التعاون في التواصل بينهما مهما اختلفا، قصد الابتعاد عن العشوائية في الحوار، لذلك يعتبرها الدكتور "علي جريشة": "لونا من الجدال بالتي هي أحسن بين فريقين وصولا إلى الحق أو إلى الصواب، يحاول فيها كل فريق إثبات وجهة نظره مع تخل مسبق عن التحيز، ورغبة صادقة في الوصول.[2]

ويدقق الدكتور طه عبد الرحمان مفهومها قائلا: "المناظرة هي النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها".[3]

فالمناظرة حسب كل التعريفات: **حوار جدلي**، والمقصود بكونه جدليا أنه قائم بين طرفين متصارعين يمثلان موقفين مختلفين من قضية معينة، وبما أن أساسها الوصول إلى إظهار الحق والصواب، فقد عقدت لها مجالس حتى تلتزم بالتنظيم، وتتفادى الوقوع في الفوضى والخصومة، ولم يكن الهدف من المناظرة المنازعة المقصودة لذاتها إنما: "وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة وممارسة العقل السليم"[4]. ومن هنا يمكن القول بأن: "المناظرة مجلس يتم في حوار جدلي بين طرفين متقابلين حول قضية معينة، يختص

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص466.

[2]- على جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،، المنصورة، مصر، ط1، 2011، ص59.

[3]- طه عبد الرحمان في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص46.

[4]- المرجع نفسه، ص21.

كل منهما بحقوق وواجبات، أساسه التنظيم والتعاون بين الطرفين بهدف الكشف عن الصواب"[1].

ج- نشأة المناظرة:

إن الحضارة العربية والإسلامية شهدت خلال العهدين الأموي والعباسي مجموعة من التحولات، شملت مختلف المجالات، منها الصراع حول خلافة الدولة، والانفتاح على الأمم والحضارات المجاورة، ثم ظهور التدوين، ونشاط حركة الإبداع الفكري والأدبي والفني، وقد لعبت تلك التحولات دوراً حاسما في بروز تيارات متصارعة في السياسة والدين والفكر والأدب، نشأت عنها مدارس واتجاهات مختلفة .

وحيثما وجدت هذه الاتجاهات المختلفة، كانت المناظرة طريقة التعامل معها، وهذا شأن الفقه (باب الخلاف) والنحو(باب القياس)، والأدب (النقائض)، غير أن أي علم منها، لم يتقيد بمنهج المناظرة الجدلي مثلما تقيد به علم الكلام، الذي قام على تواجد العقائد سواء بين أصحاب الملة الواحدة (معتزلة- أشاعرة- شيعة...).[2]

وبين أصحاب الملل المختلفة (مسلمون- نصرانيون- مسيحيون...) إلى حد أن طه عبد الرحمان يرى أنه أحق أن يسمى "**علم المناظرة العقدي**".[3]

ولم تكن المناظرة طريقة التعامل بين التيارات المختلفة من قطاع علمي واحد فحسب، بل جمعت بين أهل العلم من قطاعات مختلفة مثلا: المناظرة بين أبي سعيد السيرافي النحوي ومتى بن يونس الفيلسوف.

وللتفريق بين المناظرة ونص المناظرة نقول أن الأولى تجسيد وأداء فعلي في الواقع يتم شفهيا ويقوم على المواجهة الكلامية، وحين يدون ويتحول من الشفهي إلى المكتوب فإنه يصير نصاً، وهو ما نصطلح عليه نص المناظرة، فنجد حسين الصديق لا يعتبرها نقاشا

[1]- طه عبد الرحمان في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص21.

[2]- المرجع نفسه، ص70.

[3]- المرجع نفسه، ص76.

أو مجلسا أو حواراً بقدر ما هي: "نص صغير أو كبير يعرض حواراً بين شخصين وأحيانا أكثر، كل من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، وتبني فرضية تخالف فرضية الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين وإدحاض فرضية الآخر وأدلته".[1]

تغدو المناظرة نصا حجاجيا وأدبيا في آن واحد، فهي فن أدبي رفيع نراه متجليا في الأدب العربي بصفة عامة، وينقسم في حقيقته إلى قسمين:

الأول- المناظرات الواقعية:

هي تجرى على أرض الواقع بين شخصين متباينين فكريا في موضوع معين، سياسي أو اجتماعي أو ديني أو ثقافي، ومن أشهر المناظرات الواقعية في الأدب العربي مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنوشروان في شأن العرب.

الثاني: المناظرات الخيالية:

وهي ما نحن بصدده، وهذه يجريها الأديب أو الشاعر، بين الكائنات الحية أو الجمادات أو الأحداث الفلكية أو الأجرام السماوية وغير ذلك، من أمثلة المناظرات: "مناظرة السيف والقلم " "لابن الوردي" **(ت749ه)** ومناظرة بين "فصول العام" "لابن حبيب الحلبي" **(401ه)** ومناظرة "صاحب أبي تمام وصاحب البحتري للآمدي" **(ت631ه)** ومناظرة "الجمل والحصان" "للمقدسي" **(ت875ه)** وهناك مناظرات عديدة لجملة من الأدباء، كالمناظرة بين "الليل والنهار" أو "بين الأرض والسماء" أو " بين البر والبحر" وبين "الهواء والماء" ما شبه ذلك.

ولم يكن فن المناظرات منحصراً في زمان أو مكان معين، بل كان ممتدا وشاملاً للشعر والنثر معاً، وإن كانت صورته في النثر أكثر إشراقا وبروزا من الشعر.

[1]- حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي، أحيل عليها في بلاغة الإقناع في المناظرة، عادل عبد اللطيف، ط1، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص131 .

د- أطراف المناظرة:

غالبا ما يكون في المناظرة طرفان يمثلان جانبين مختلفين من الدعوى ويختص كل منهما بدور محدد ويكون لما يختص به أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً إلى الإقناع أو الاقتناع برأي، سواء ظهر صوابه على يد هذا أم يد محاوره.[1]

وإذ يمثل فعل التناظر شخصان فإنهما لا يلبث أن يكون أحدهما عارضا والآخر معترضا، ولكل منهما اختصاصات ووظائف:[2]

- **العارض**: وله ثلاثة وظائف، فإما أن يكون مدعيا فتكون مهمته عرض الدعوى، ويشترط فيه أن يعتقد صدق ما يدعى وأن يطالب المخاطب بأن يصدر بدوره هذه الدعوى، وأن تكون له بينة على صدق ما يدعي، وإما يكون مجيبا، فتكون وظيفته الإجابة على استفسارات المتلقي، وإما أن يكون معللا، حين يقدم الحجج والأدلة لإثبات صحة دعواه.

- **المعترض**: يتبنى رأيا مخالفا للدعوى، وله ثلاث وظائف أيضا فإما أن يكون سائلا، كأن يستفسر عما قد تحتوي عليه الدعوى من الألفاظ الغريبة أو المجملة، أو أن يكون معترضا بكل الطرق المشروعة على مضمون الدعوى، ويحاول نفيه أو دحضه باعتماد مجموعة من الشواهد والأدلة التي تثبت بطلان الدعوى، آنذاك يكون معللاً.

وقد تتغير الأدوار أثناء المناظرة، فينقلب السائل معللا والمعلل سائلا، والمانع سائلا، والمستدل مانعا، غير أن ما يجدر الإشارة إليه أن التكافؤ بين المتناظرين شرط أساس من شروط المناظرة، أي لابد من أن يكونا متساويين من حيث المكانة العلمية، حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر أو استحقاره له إلى أن يضعف عن القيام بحجته.[3]

---

[1]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار تجديد الكلام، ص47.

[2]- المرجع نفسه، ص75-84 .

[3]- المرجع نفسه، ص74.

هـ- شروط المناظرة:

تقوم المناظرة على عدة شروط، حددها كل باحث بحسب طبيعة بحثه، والأهداف المرجوة منه، وسأحاول تبيان شروطها من خلال: "**طاش كبرى زادة**" الذي حددها بتسعة منها ما يتعلق بالخطاب في حد ذاته، ومنها ما يتعلق بما يجب المتناظرين وهي:

1- تجنب الاختصار المبالغ فيه المؤدي إلى الغموض.

2- تجنب الإسهاب المضجر.

3- تجنب الألفاظ المبهمة.

4- تجنب العبارات العامة، التي يستعملها سوقة الناس.

5- تجنب الخروج عن الموضوع.

6- تجنب شرح أقوال الخصم دون فهمها جيدا حتى لا يؤدي ذلك إلى الغلط.

7- تجنب القهقهة والحركات غير الأخلاقية.

8- تجنب التصادم مع الأشخاص المرموقين والمحترمين للحفاظ على مواهبهم واستعداداتهم.

9- تجنب احتقار واستذلال الخصم[1].

و- الآليات الإقناعية:

يسعى كل واحد من الطرفين المتناظرين إلى إثبات وجهة نظره ودحض الرأي المخالف باعتماد مجموعة من الآليات اللغوية والمنطقية، قصد التأثير في الطرف الآخر وفي الجمهور على السواء. ودفعهم جميعاً إلى تبني موقف معين وهي صنفين:

1- آليات بلاغية: تتمثل في استعمال أساليب اللغة الأدبية وصورها الشعرية من تشبيه واستعارة ومجاز بطريقة تستثير مشاعر المخاطب وأحاسيسه، وتؤثر على انفعاله ونفسيته كما تتمثل في الأساليب الخبرية والإنشائية: من استفهام وأمر ونهي... سواء في معانيها الحقيقية والمجازية.

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص75.

2- آليات منطقية: تتمثل في أنماط البرهان المستعملة (استنباطي واستقرائي وإضرابي) والاستشهاد بأقوال تزكي الرأي، بالإضافة إلى آليات أخرى تتمثل في الشرح والتفسير بوسائلها المختلفة: التعريف والمقارنة والوصف والسرد.

ي- آداب المناظرة:

المناظرة ليست مواجهة حجاجية سائلة، بل تقيدها ضوابط تلزم طرفيها، وقد سماها القدماء: **آداب المناظرة**، وهي قواعد يكمن دورها في تخليق مجرى المناظرة خدمة للفائدة وإظهارا للصواب.

وقد حدد "**طاش كبرى زاده**" آداب المناظرة في تسعة شروط وهي:

1- أن يتجنب المناظر الإطناب الذي قد يقصر عن أداء المراد مما يجحف قوله ويجعله "مخلاً بالفهم"[1].

2- أن يتجنب المناظر الإطناب الذي يمكنه أن يدفع إلى سأم محاوره أو يؤدي إلى الملل.

3- أن يتجنب المناظر استعمال الغريب من الألفاظ تفاديا لـ "عسر الفهم" وحتى لا يلغز على محاوره، ويخل بالتواصل المطلوب .

4- أن يتجنب المناظر استعمال "اللفظ المجمل" حتى لا تلبس مقاصده ويصرف محاوره عن مراده.

5- أن يتجنب المناظر "النحل في الكلام الخصم قبل الفهم" لأن من شأن الوثب العجل على الكلام، وأتسرع في الرد قبل الاستيعاب أن يجر إلى الخبط والضلال .

6- أن يتجنب المناظر "التعرض لما لا دخل له في المقصود" لأن من شأن ذلك تشتيت اتجاهات الكلام وأخطاء المرام، الأمر الذي يجر إلى تضييع الفائدة والصواب .

7- أن يتجنب المناظر "الضحك ورفع الصوت" ويحترز من أي حركة قد تظهر "البطش" أو تدل على "السفاهة"، فاعتبار الآخر ضروري علي توفير الجو الصحي المناظرة.

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص172-173.

8- أن يتجنب المناظر مواجهة "جليل القدر وبعيد المرتبة" لأن كثرة التهيب قد تشغل عن هدف المناظرة وتربك أحد طرفيها.

9- أن يتجنب المناظر استصغار خصمه واحتقاره، لأن من شأن الاستهانة بالآخر أن تقود إلى عدم الحزم في مواجهة الأمر، الذي يؤدي إلى غلبة هذا الخصم الضعيف، وهو أشنع وجوه الالتزام.[1]

وخلاصة القول في آداب المناظرة حيث يلخصها في نص ممتع للراغب الأصبهاني حيث يقول "**اجتمع متكلمان، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال على شرائط: أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلا، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق وتقاد للتعارف، وعلى أن كلا منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته**"[2].

عاشرا- ماهية المقامة:

يعد فن المقامة من الفنون الأدبية الهامة التي ظهرت في القرن الرابع الهجري على يد "بديع الزمان الهمداني"، وازدهر في عصور الانحطاط وهي تشبه قصة قصيرة مسجوعة، فقد عبرت عن قضايا الإنسان والإنسانية بطريقة فنية ذات صبغة فلسفية، شكلت بمجملها دروسا وعبراً للمتعلمين من بني البشر، بل أنها في كثير من موضوعاتها وقد قدمت معالجات إنسانية من خلال طرحها الساخر تارة والجاد أخرى، للموضوعات الإنسانية فجاءت موضوعات: الكدية والتسول والألغاز والأحاجي لتشكيل قسما لا يستهان به في موضوعات المقامة كما شكلت موضوعات الوعظ والبلاغة والمسائل العلمية القسم الأغلب لموضوعات المقامة فهي "**قطعة أدبية فنية يقصد بها الفن للفن وتجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب في أسلوب مسجع أنيق الوشي يعجب أكثر مما يؤثر ويلذ أكثرهما**

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص172-173.

[2]- المرجع نفسه، ص173.

يفيد".[1] حيث تكون قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكد ومتسول، لها راو وبطل. وتقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية، أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة، وضعت في إطار الصنعة اللفظية والبلاغية، تحمل في داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية، وكشف العيوب الإنسانية، ووضع البديل لها في بعض الأحيان، ومن هنا تبدو الأهمية الحضارية والتاريخية لهذا الفن.

[1]- محمد هادي مرادي، فن المقامات النشأة والتطور دراسة وتحليل، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 2004، ص2 .

خلاصة :

و كخلاصة للفصل الأول نقول بأن الحجاج ظاهرة ملازمة لإنتاج الخطاب عند البشر ، وما من خطاب يخلو من الحجاج ، على اعتبار أنه الميزة الأساسية في التواصل و تحقيق المقاصد بين المخاطب و المخاطب ،وقد أثبت الحجاج فعاليته و قدرته الفائقة على فك الكثير من مغاليق الخطاب .

فهو موضوع قديم جديد له جذور عريقة كثيرة أهمها خطابة أرسطو، و تشبع حديثا بجملة من المباحث اللسانية و التداولية ،ثم بدأ الاهتمام به خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، مع شاييم بيرلمان و تيتيكاه من خلال كتابهما المشترك : "مصنف الحجاج " سنة 1958 ، و بعدها تعددت الأبحاث من خلال بروز الكثير من المؤلفات .

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية للمناظرة

أولا- عصر محمد بن عبد الرحمان الديسي

ثانيا- الآليات الحجاجية في المناظرة

I- الروابط الحجاجية

II- السلم الحجاجي

III- العوامل الحجاجية

IV- المبادئ الحجاجية

ثالثا- الحجاج البلاغي

سماها عبد الرحمان الديسي بالمقامة[1]، في قوله: "**وختمت المقامة بحمد أهل الجنة في دار المقامة**"، وتلى ذلك كتاب هو شرح لها وسماه "**بذل الكرامة لقراء المقامة**"، وكذلك ذكر أنها مقامة في شرحها "**وأنطق لساني بمقامة أدبية في المفاخرة بين العلم والجهل**" أما "عمر بن قينة" فقد أوردها على أنها مناظرة بين العلم والجهل[2]، وذكرها أكثر من خمس مرات في صفحة ونصف فقال: "**رسالة تقع في 16 صفحة، احتلت منها أربع صفحات، أنهى الكاتب تحريرها سنة 1314هـ، نشرت في تونس كما نشرت نحو ثليثيها جريدة كوكب**[*] **إفريقيا في أعداد ثلاثة**"[3].

قدم لها المحرر في المجلة بقوله "**تحصلنا على المناظرة الآتية بين العلم والجهل وهي من نسيج فريد وقته، ووحيد زمانه، حضر الشيخ الإمام سيدي محمد بن عبد الرحمان الديسي**"[4].

بداية نورد قول **صالح الدين ملفوف**[5]: أنه من الناحية الأجناسية والنوعية كان عبد الرحمان الديسي يدرك أنه قام بعملية تهجين لنوع المقامة فنجدها في المناظرات، وهذا بداية من العنوان في الغلاف: المناظرة بين العلم والجهل. وكذلك نجد عمر بن قينة يوردها في كتابه على أنها مناظرة: "من العنوان ندرك أن المناظرة عبارة عن جدل تصور الكاتب حدوثه بين العلم والجهل... نلمس من بداية المناظرة أن الكاتب يعلق أهمية كبرى على ضرورة كسب الإنسان المعارف العلمية... وهو السبب في كتابة هذه

---

[1]- محمد بن عبد الرحمان الديسي، مقامة المناظرة بين العلم والجهل، مراجعة وتقديم عبد الكريم قذيفة، نشر الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي، ط1، 2009، ص30.

[2]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للتوزيع، ط1، 1977، ص.38.

[*] نشرت في جريدة كوكب إفريقيا جريدة أسبوعية تصدر بالجزائر العاصمة، عدد 77 و80-89، الصادرة بين 23 أكتوبر و08 جانفي 1909، تحت عنوان أدبيات ثم عنوان العلم والجهل، ص4-2-3.

[3]- المرجع نفسه، ص38.

[4]- المرجع نفسه، ص38-39.

[5]- ملفوف صالح الدين، بيبليوغرافيا القصة الجزائرية القصيرة (النشأة والتطور)، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، عدد7 ماي 2008، ص158.

المناظرة."[1] والمناظرة محاولة من بين المحاولات التي جاءت في فترة لم يكن فيها ما يشجع على الانتاج الأدبي. فحملها الكاتب وجهة نظره معبرا بها عن إحساس اجتماعي وفكري يومئذ."[2]ولم يذكر فيها قط أنها مقامة أدبية.

إضافة إلى ذلك أوردها "**محمد حسان الطيان**" ونشرها ضمن المفاخرات والمناظرات في كتابه "**المفاخرات والمناظرات**" سنة 2000. ومن خلال الدراسة سنرى أنها لا تنتمي إلى فن المقامة بل إلى المناظرة، وهذا لتوفرها على آداب المناظرة وعنصر الحجاج بداية من : "فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال" .وورد لفظ جدال والحجة في "ولا جدالي عليك بسهل"[3]."فلا يصح في هذا النزاع والمخاصمة"[4]. "واتركا اللجاج ولا تطيلا الحجاج"[5].

أولا- عصر محمد بن عبد الرحمان الديسي :

أ- السياق السياسي:

لقد عاش الديسي الفترة بين (**1339-1270هـ**)، (**1854-1921م**)، وذكر هذه الفترة يوحي بالواقع المعيشي الذي كان فيه المجتمع الجزائري: سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

وكانت بداية وعيه متزامنة وآخر الثورات الشعبية، ومن أهمها ثورة الشيخ المقراني (**1871-1872م**) التي أثرت على مختلف جوانب الحياة، بحيث انعكست نتائجها على حياة الفرد والجماعة، كما ترتب عن فشلها عواقب، أثرت على الأدب والثقافة وعلى الحياة السياسية والحالة الاجتماعية والاقتصادية بوجه عام.[6]

---

[1]- عمر بن قينة، الديسي حياته، ص39.

[2]- المرجع نفسه، ص40 .

[3]- المرجع نفسه، ص29.

[4]- المرجع نفسه، ص25.

[5]- المرجع نفسه، ص30.

[6]- عبد الله التركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص18 .

ولأن الديسي ابن زاوية بها تعلم وعلم، وقضى حياته العلمية، تجدر الإشارة إلى الدور العام والمهم الذي أدته الزوايا في الثورات الشعبية، حيث كانت الطرق الصوفية بمثابة الدعم الروحي لكل الثورات، وذلك بفضل تجنيد الأتباع باسم الجهاد، والدفاع عن الأرض والشرف والإسلام إذ: "كانت الزوايا ما تزال في قوتها، وما يزال في استطاعة أشرافها ومرابطيها تكبيد العدو خسائر فادحة، وجمع جموع الأتباع بالآلاف، وكانت قوتهم ضرورية في مختلف الانتفاضات"[1].

ومع تطور الأحداث العالمية وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، شهدت الجزائر حركة سياسية مبنية على أسس فكرية ومتطورة عن ذي قبل:

"حركة يقودها الشباب المتطلع إلى تغيير الواقع الأليم، رغم التباين والاختلاف في وجهة نظر كل فريق عن الآخر، كان لصوت ابن باديس الصدى الأبعد، والتأثير الأقوى حيث لاحت بوادر نهضة إصلاحية سلفية متميزة"[2].

إذن اندمجت كل الأفكار وانصهرت كل المبادئ لهدف واحد، هو الخلاص من كابوس الاحتلال الظالم، حيث جميع الجوانب تعبر عن الواقع المر الذي يجب محاربة أسبابه بالثورات والانتفاضات .

واختلف دور الزوايا من مؤيد ومتخاذل إلى معارض وواقف ضد الاحتلال، غير أن موقف الديسي كان دوما مع الاستقلال وضد سياسة الإدماج، حيث يقول في هجائه لحزب الاتحاد والترقي التركي، الذي تبنى الفكر الغربي:

تسميتم حزب الترقي سفاهة وصنعكم الانحطاط بريد"[3]

---

[1]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص9.

[2]- المرجع نفسه، ص9.

[3]- ديوان محمد بن عبد الرحمان الديسي، ديوان منة الحنان، الجمعية الثقافية للشيخ الديسي أولا د سيدي إبراهيم، ط1، 2009، ص205.

ب- السياق الاجتماعي والاقتصادي:

لا عجب إن قلنا أن الظروف الاجتماعية للمجتمع الجزائري تدهورت منذ السنوات الأولى للاحتلال الغاشم، فبعد أن اتسع مجال الهجرة وأصبحت جماعية، أصبح ينذر بالتشاؤم وبضياع حرية الوطن، أصبح المواطن يرى ممتلكاته تضيع يوما بعد الآخر، ويبقى هو مكتوف اليدين، كممت الأفواه وصودرت الحريات، فساءت الأوضاع الاجتماعية وسيطر الركود على علماء الدين، واللذان كان بأيديهم أخطر سلاح وهو دعوة الناس للجهاد ضد الاحتلال.

كما أدى استيلاء سلطان الاحتلال على كل أراضي الأوقاف الإسلامية، " التي كانت تلعب دوراً هاما في توفير التعليم والرعاية الاجتماعية لمختلف فئات المجتمع الجزائري، وبالاستيلاء عليها تدهورت الرعاية الاجتماعية بالنسبة للفقراء المحتاجين تدهورا كبيراً"[1].

ومع مرور بعض الوقت بدأت بعض العادات والتقاليد الغربية تنخر جسد المجتمع الجزائري الأصيل، مثل: إدمان الكحول والمخدرات وبعض العادات الأوروبية بدأت تتغلغل في المجتمع الجزائري.

أما من الناحية الاقتصادية، وبسبب الحرب التي قادتها فرنسا على الجزائر، فقد تحطم الاقتصاد الوطني الذي كان قائما على الزراعة والفلاحة والمبادلات التجارية فعاش الشعب الجزائري حالة من الفقر المدقع طيلة حقبة الاحتلال .

أما اقتصاد المدن فقد شهد تغيرا عنيفا كذلك، جعله يكاد يتوقف، فالهجرة – فردية وجماعية- أدت إلى خروج رأس المال المحلي وتوقف الصناعات، كما أن استيلاء التجار اليهود على وسائل الإنتاج والبنوك في المدن، جعل السكان عاجزين عن المنافسة، وبالتالي إما الهجرة أو مواجهة الفقر.

[1]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص18.

وبناء على المخطط الذي أتت به فرنسا لتطبيقه في الجزائر، معتمدة على سياسة التفقير والتهجير الجماعي، ومحاولة طمس وسلخ الشعب الجزائري من كل مقومات شخصيته الوطنية والقومية والدينية بداية باللغة والدين.

كل هذه التطورات أدت ودعت إلى تبلور أفكار إصلاحية لتصارع هذه التيارات الأجنبية: "وتدافع عن مقومات الشخصية الوطنية، وهنا ظهرت الحركة الإصلاحية وبدأت تسري في المجتمع، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، فتمده بأفكار جديدة وتبعث الأمل في أفراده لينظر الجزائري للمستقبل نظرة تفاؤل"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الإصلاحي للديسي، حيث كانت له الجرأة في قول الحق والتصدي للمتشدق بالباطل.

جـ- السياق الثقافي:

من خلال ما سبق يمكن تصور الوضع الثقافي، يتضح من خلال إقدام فرنسا على محاربة اللغة العربية، ومنع التعامل بها والتعليم بها، حيث أنها عملت دون هوادة على محاربة اللغة وطمس الهوية الوطنية بكل مقوماتها، فأقامت إدارة جديدة على أنقاض الإدارة الجزائرية التي كانت كل شؤونها تتم باللغة العربية فقضت عليها بعد الاحتلال، ففرنستها كلها فبدت غربية أجنبية، ثم فرنسة المحيط الاجتماعي، بحيث تحولت أسماء الشوارع والساحات العامة والمعالم الأثرية وأسماء المدن والقرى فرنسية الاسم .

فالثقافة الإسلامية العربية الجزائرية أصيب بضربة في العمق، كادت أن تقضي على مقومات الشخصية الإسلامية العربية الجزائرية، حيث نجد أن فرنسا عملت بكل قوة لاغتصاب واستلاب مقومات الكيان الجزائري، ومحاولة إدماجه في كيان فرنسا الديني والثقافي والحضاري.

وهنا يبرز الدور الفعال للزوايا في المحافظة على المقومات الجزائرية الإسلامية العربية، ولو بالنزر القليل، رغم الاضطهاد الممارس عيلها. رغم أن القرن التاسع عشر

[1]-عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص18.

يعتبر من أفقر الفترات في الكتابة الأدبية في الجزائر، وهناك من يقول من المؤرخين أنه توجد حلقة مفقودة في تاريخ الأدب العربي الجزائري في تلك الفترة، فقد كان للشيخ الديسي شأن كبير في تنوير العقول بالنظم والتأليف، بالإضافة إلى نشاطه التعليمي في زاوية الهامل التي تتبع الطريقة الرحمانية، فقد خلف لنا مكتبة كاملة وكنزا في العلوم الدينية والأدبية واللغوية إضافة إلى ديوان شعر.

كما كان للطباعة أثرها في النهضة الأدبية والفكرية، وذلك من خلال إصدار الصحف والجرائد الهادفة على غرار جريدة "كوكب إفريقيا" والتي نشرت بعض أعمال الديسي مثل المناظرة بين العلم والجهل.

ثانيا- الآليات الحجاجية في المناظرة:

I- الروابط الحجاجية:

إن الربط "قرينة لفظية تعمل على اتصال أحد المترابطين بالآخر"[1]. حيث أن الربط يعد وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الاتساق يقول "**دي بوجراند**" الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات"[2].

تعد الروابط الحجاجية كأهم الواسمات –اللغة تحمل في بنائها واسمات تحقق الوظيفة الحجاجية- التي تساعد على فهم الخطاب وتأويله، واتباع الوجهة الصحيحة من أجل الوصول إلى قصد المخاطب، فهي كالإشارات المرورية للسائر في دروب الخطاب. كما تساعد على اتساق أجزاء الخطاب ويعتبر" موضوع الروابط التداولية موضوعا أساسا في تحديد بنية الخطاب لكونه آلية مهمة في عملية الربط داخل النسق المقول، وقد اهتم التنظير بموضوع الروابط في اللغات الطبيعية، انطلاقا من دورها في فهم أطراف الكلام

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار، المغرب، ط1، 1994، ص213.

[2]- روبرت دي جراند، النص والخطاب والإجراء، تح تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 2007، ص346

بين مقول منطوق ومقتضى مسكوت عنه، ولها وجودها في الكلام بمساهمة منطقية في ترتيب الأغراض التي تقتضيها الجمل".[1]

تشتمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط الحجاجية، ويعد الربط بهذه الحروف قرينة لأمن اللبس في فهم الانفصال، وقد عرفت هذه الأدوات في الدرس التداولي بتقسيمات تختلف عن تقسيمات الدرس النحوي، فسأحاول ذكر البعض منها ممثلة بشواهد من المناظرة.

1- الرابط الحجاجي "الفاء":

الفاء من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ أنها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير، فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التدوالي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلا عن الدلالة على الترتيب والاتصال وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببا عما قبله، ومن أمثلتها قوله: "فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال، فاجتمع قوم"، "فاقعد عن المكارم، فإنك أنت الكاسي الطاعم".[2] هنا يحتج العلم للجهل إن الذي عيره به من أرفع المكارم، لأنه صاحب الكسوة الفائقة وذو الأطعمة الرائقة"، وإن خدمت الأشباح الفانية " فأنا أخدم الأرواح الباقية"[3].

الجهل يخدم الأجسام بتمتيعها بالمشتهيات والمستلذات وهي زائلة أما العلم فيخدم الأرواح فإن بلذته نعيمها واستلذاذها وهي باقية.

فنلحظ أن "الفاء" قد ربط بين الحجة والنتيجة فكأن ما بعدها من حجة، قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرابط، وكان لتعاضد "الواو" معها في سياق العبارات في المناظرة سبيلاً لمزيد من الاتساق التداولي وأدلجة الأنساق المعرفية.

---

[1]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، شبكة الأولكة، 2017، ص102.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص19-21.

[3]- المرجع نفسه، ص22

2- الرابط الحجاجي "الواو":

يشير هذ الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين)، ويستعمل حجاجيا بوصفه رابطا عاطفيا، ويعمل على ترتيب الحجج، ووصل بعضها بالبعض الآخر، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلا عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها، ومن الشواهد في النص مثل "والعلوم الشريفة أحوالها في وقتنا هذا الحاضر ضعيفة، هذا التفسير فأين محرروه، وهذا الحديث فأين مقرروه، وأين من يعرف موضوعه، ويميز صحيحه وحسنه وضعيفه وموضوعه"[1]. هنا هذ الترتيب هو توهين وتضعيف الجهل حال مهمات العلوم الشريفة.

أيضا: "وأنه ينال بالهمم لا بالرمم ولا يحاز بنشب ولا يورث بنسب"[2] من مزية العلم وشرفه أنه ينال بالهمم العالية لا بالرمم البالية ولا يدرك بمال دون اجتهاد وهمة، ولا يورث بنسب دون تعلم.

فالرابط الحجاجي "الواو" قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها.

كما عمل على الترادفية في النتيجة الواحدة، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي أي عكس السلم الحجاجي.

فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة، وتقويتها بقوة الرابط "الواو" الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة.

3- الرابط الحجاج "بل":

هي من أدوات العطف، ليس لها من القيمة التي للرابطين "الواو" و"الفاء"، ومن وظائفها الإضراب عما قبلها، وإثبات الحكم لما بعدها، ولها أيضا وظيفة الاستئناف والاستدراك، ثم تؤدي وظيفة التدرج في مثل قول الديسي: "وليست بينكما مضادة، ولا كبير معاندة بل بينكما تقابل العدم والملكة".[3]

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص17.

[3]-المرجع نفسه، ص30.

تكمن حجاجية "بل" في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت .

ومما يتسق مع "بل" في التركيب تلك الخطابات التي تتضمن "ليس، فحسب، بل" وذلك بمعنى تثبت كل من الجزأين بعد ترتيبها صعودا، فيصبح الوضع ثبوت الأول بوضعه حجة دنيا وزيادة الآخر فوقه بوصفه الحجة الأقوى.

وتعد "بل" أقل الروابط حضوراً في المناظرة، وتتجلى وظيفتها في القدرة على الإبطال والانتقال من غرض إلى غرض، كما أنها تلعب دوراً كبيرا في ترتيب الحجج من أجل الوصول بالمخاطب إلى أعلى السلم أي إلى النتيجة.

4- روابط العطف الحجاجي:

تتسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والنتائج، والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط حروف العطف: (ثم- الفاء-الواو)، إذ أنها تقوم بدور حجاجي كبير، فالملاحظ أنها تقوم بالربط بين قضيتين (حجيتين) لنتيجة واحدة، ووصفها سلما حجاجيا، يخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة، بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فهي تسهم في بداعة المعنى المقصود خاصة إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى جهة، ويلقي على الخطاب نوعا من التنظيم والانسجام مرة أخرى.

5- حجاجية الرابط "حتى":

الرابط "حتى" هو من الروابط التي تتميز بالمرونة، وتغير معناها من سياق لآخر، فيعرفها الرماني: "هي من الحروف التي تعمل مرة ولا تعمل أخرى، فإذا عملت كانت جارة وكان معناها الغاية"،[1] فهي تفيد التخصيص والتوكيد.

[1]- الرماني، معاني الحروف، مجلة دواة، علي سعيد الحبكاني، ع185، ص119، ص119

فلها استعمالات حجاجية لأن دورها ليس منحصر في أن تضيف إلى المعلومة "يستغفر لأهله كل شيء" في القول "حتى حيتان الماء".[1] معلومة أخرى وهي استغفار كل شيء دون استثناء في البر والبحر، بل "إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية"[2].

وهذا الرابط يربط بين حجتين أو أكثر لهما نفس الوجهة الحجاجية، ويخدمان نتيجة واحدة، بمعنى أنها متساوقة، فالحجة بعده أقوى من التي قبله، ورغم أن الديسي قد وظفه خمس مرات، غير أن دلالته في السياق كانت بادية.

نجد كذلك في قوله: "على أنه حرم النظر فيه متقدموا لأئمة الأعلام حتى ألف الغزالي حجة الإسلام إلجام العوام عن علم الكلام[3]، نجد هنا الجهل حينما فرغ من توهين بعض العلوم السخيفة، انتقل إلى تضعيف حال مهمات العلوم الشريفة، خاصة في الوقت الحاضر فهي ضعيفة لعدم من يقوم بها وضعف الاعتناء بتحصيلها وتحقيقها، ثم عد علم الكلام من العلوم الواجبة التي حرم النظر فيه متقدمو الأئمة الأربعة حتى أن الإمام حجة الإسلام الغزالي ألف كتابا سماه "إلجام العوام عن علم الكلام".

والخاصية الأساسية للحجة التي ترد بعد "حتى" تتمثل في أن هذه الحجة تعد أقوى حجة يمكن أن نقدمها لصالح النتيجة المقصودة".[4]

في مثل قول الديسي "حتى صار حال الأديب مثلا في الضعف والضيق"،[5] القيمة الحجاجية هي أن حال الأديب بين الناس أصبح مثلا يضرب به في الضعف والضيق، وهذه الشكاية من الزمان والحط من حال الأدب.

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص33.

[3]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص25.

[4]-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص88.

[5]-عبد الرحمان الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص132-133.

6- الرابط الحجاجي "ثم":

وهي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج، ومثاله في المناظرة وروده مرة واحدة في خاتمتها في قوله "وأنا أقضي بينكما بقضاء فصل، وكلام جزل فخيركما العالم العامل، ثم يليه المسترشد الجاهل".[1]

والقيمة الحجاجية التي جاء بها الرابط هي الترتيب، أي لكل دوره في الحياة ولكن هناك أفضلية في الترتيب كي لا يختل التوازن في الحياة بين العلم والجهل.

II- السلم الحجاجي:

اللغة ذات طبيعة حجاجية، وهو ما ارتكزت عليه نظرية ديكرو "Ducrot" وأنسكومبر "Anscombre" فقال الأول "نسمي سلما حجاجيا كل علاقة ترتيبية لحجج معينة".[2] فالسلم الحجاجي بنية متنامية لمراتب الحجج، أي يمكن ترتيب الحجج بشكل يعلو بعضها على بعض حينما تستلزم نتيجة واحدة، وهذا يأتي لقوة هذه الحجج، ذلك أنها تتفاوت في قوتها التدليلية والتبليغية والتأثيرية من حيث تدرجها من الأضعف إلى الأقوى في إطار ما يسمى بـ"السلم الحجاجي"، وبذلك يكون السلم الحجاجي "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التالين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه".[3]

وهناك تشابه بين السلم الحجاجي في اللغة وبين نظرية نفسية وضعها الأمريكي "أبراهام ماسلو" التي عرفت بالنظرية: "تدرج الحاجات" وتناقش هذه النظرية ترتيب

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص30.

[2]- كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص140 .

[3]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص104.

حاجات الإنسان بشكل هرمي متسلسل مترابط أو نظام متصاعد على وفق أولوياتها يكون أعلاه مبتغي الإنسان في تحقيق الذات، ونلحظ تأثر ديكرو بهذه النظرية فالسلم الحجاجي يعتمد على ترتيب الحجج عموديا ابتداء من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية فالأقوى في فئة حجاجية واحدة .

فنجد مثلاً "بنوك بهائم وإن لبسوا العمائم، وأنعام وإن غذوا بالإنعام وإن تشد قوافي الكلام، ورعاع وإن أحرزوا المتاع".[1]

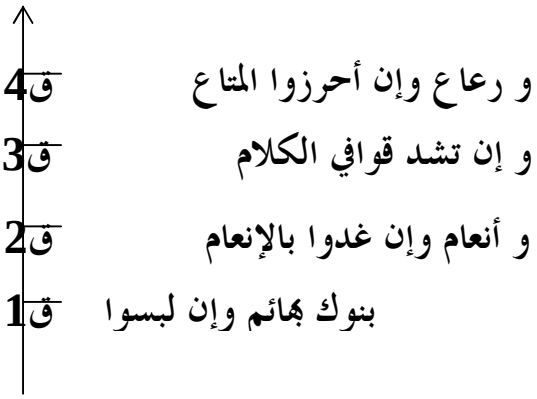

نرى تأثير الرابط"إن" في بناء السلم الحجاجي في القول السابق، فهي عبارة عن حجج صغرى لفهم عملية التدرج من الحجج الضعيفة إلى الحجج القوية وصولاً إلى النتيجة، فبنو الجهل المتصفون به في حكم البهائم وإن كانوا في صور الرجال وتزينوا بأحسن الزي وأنهم في حكم الأنعام، لأن الأرزاق تجري على قدر العقول .

وكذلك ذوي الجهل سفلة وأرذال وإن نالوا حظا من التمتع والتنعم بفاخر اللباس وألوان الطعام، وتشدقوا في الكلام.. وكذلك رعاع وإن نالوا ما نالوا من الدنيا فهم ساقطون عن حد الاعتبار، كلها حجج في المنسوبين للجهل بأن لا فائدة منهم مهما بلغوا من الغنى والمناصب، نجد كذلك قوله :

[1]- عبد الرحمان الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص49-50.

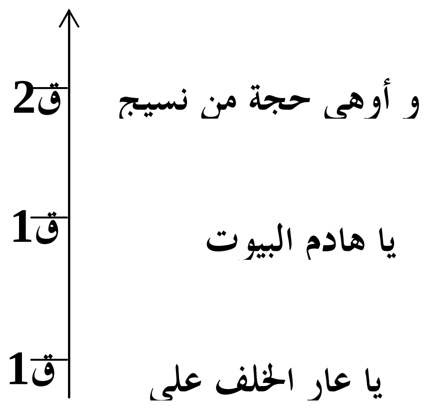

"يا عار الخلف على السلف، يا هادم البيوت أو هي حجة نسيج العنكبوت"[1]. هنا نجد أن الحجة الأولى هي عار الخلف على السلف أن لا يقتفوا آثارهم، ولا يشيدوا في المجد منارهم، لذا نجد قول الحكماء "خلف السوء يهدم الشرف ويشين السلف"[2]. فالجهل يهدم بيوت العلم والمعرفة به، إن خلت منه وهي الحجة الثانية وأوهن أضعف، ونجد نسيج العنكبوت مثل في الضعف والوهن لقوله تعالى: "وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت". إذ لا تقوم بالجهل حجة ولا تتضح به محجة .

نجد كذلك في قول الديسي

"وجهلاء الأعراب أقرب في الجاهلية للإسلام من أهل الكتاب، "فلذادخلوا في الدين أفواجا وما أطالوا عنادا وحجاجا"[3].

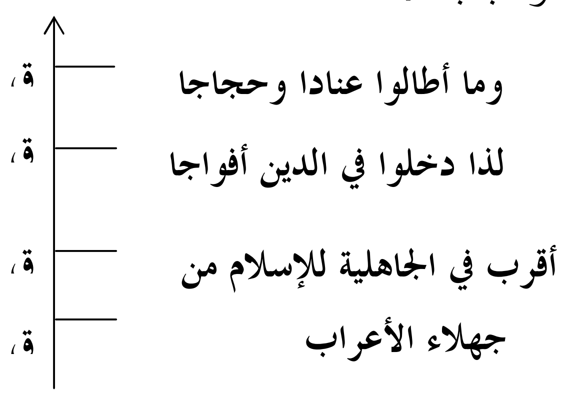

[1] - الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص52.

[2] - المرجع نفسه، ص51.

[3] - المرجع نفسه، ص20 .

III- العوامل الحجاجية:

تعد العوامل الحجاجية من أهم الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم في توجيه خطابه نحو وجهة حجاجية ما، لإقناع متلقيه بالنتيجة التي يروم تحقيقها، فالعوامل الحجاجية تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجية للقول الواحد داخل الخطاب، وتزيد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة ما، والعامل الحجاجي هو عبارة عن مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في زيادة الإمكانات الحجاجية للكلام إسهاما فعالاً، وزاد من طاقته الحجاجية وسنحاول ذكر ما وجد في نص المناظرة.

1- عاملية أدوات النفي:

يعد الحجاجيون النفي عاملا حجاجيا، يحقق به المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة"[1]، أي أن النفي رد فعل على إثبات فعلي.فنجد مثلاً في: "ولا جدالي عليك بسهل يا ميت الأحياء ويا قليل الحياء"[2]. فالغاية منه تكذيب هذا الأمر، أي أن الجهل ليست لديه القدرة على مجاراة الأمر "وأنه ينال بالهمم لا بالرمم، ولا يجاز ينشب ولا يورث بنسب... يدرك بالاجتهاد والجد، لا بالاتكال على الأب والجد"[3]. فهنا قد نشأ عن النفي مفهوم مخالفة في غير سياق التكذيب والاكذاب، أي بتوجيه المتلقي نحو نتيجة ثابتة مفادها أن العلم طريقه صعب ومتعب، والنتيجة هي الوصول إلى أعلى المراتب وهذا جاء لإقناع الشعب الجزائري الذي كان يعاني من انتشار الطرقية، التي تدعو إلى الجهل والشعوذة وتغيير طريقه نحو الفلاح باصطياد العلم في منازله، ونجده كذلك في: "وليست له على عباد الله المخلصين من سلطان".[4]

---

[1]- سليمة محفوظي، العوامل الحجاجية في اللغة العربية وعاملية أدوات النفي الحجاجية، بحث المناظرة، بحث منشور على الموقع التالي:..www.akharock.net/news

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

[3]- المرجع نفسه، ص17-18.

[4]- المرجع نفسه، ص18.

2- عاملية أدوات القصر:

يعد القصر أو ما يسمى بالحصر، من العوامل الحجاجية التي يستند إليها المحاجج لتوجيه خطابه نحو الوجهة التي يريد إقناع مخاطبه بها.

والقصر صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات وأدواته في اللغة العربية تنقسم إلى:

- **القصر (النفي والاستثناء)**: (لا.. إلا) وهذا النوع من القصر يعمل على قصر الشيء وحصره بصاحبه من دون سواه، أي أنه يحصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة، لأنه يضيف إلى الكلام قوة حجاجية تزيد من طاقته في توجيهه نحو النتيجة،[1] فالقصر بالنفي والاستثناء يستخدم عندما ينكر ويجحد الحكم أو عندما ينزل تلك المنزلة، فالنفي يؤتى عند إنكار المتلقي بخبر ما، وهو يفيد قصر العام.

- "لا تلحقه إلا فات"
- "ولا يأكلون إلا على ضعف"
- "ولم يؤمنوا من أهل الكتاب إلا النادر"[2].

فأدوات النفي والاستثناء توفران الطاقة الحجاجية التي يحتاجها المتكلم لإقناع المتلقي.

- **القصر بـ: إنما:**

دلالة **(إنما)** على القصر دلالة وضعية، وتأتي "إثباتا لما ذكر بعدها ونفيا لما سواه"[3]، بمعنى أنها أداة حصر وتوكيد، "ولا تنظر إلى ما رماني به الدهر من الكساد فإنما ذلك لغلبة الفساد"، يقول العلم لا تنظر يا جهل إلى ما أنا فيه في هذا الوقت من الكساد فليس ذلك لنقص من قبل، ي وإنما ذلك لغلبة الفساد على أهل الزمان أي قصر وحصر فساد الزمان بفساد أهله.

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص23-24-27.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص291.

[3]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

وتوظيف الديسي لم يكن إلا لحاجته لتأكيد كلامه، فتعد من الأدوات القادرة على تقريب الفكرة أو الخطاب إلى ذهن المتلقي وترسيخها فيه.

- **الحجاج بالتوكيد**:

أدوات التوكيد في الخطاب حسب عبد الله صولة تمثل شارات حجاجية"[1]، "فقد وضعت للتوكيد ثلاثة أغراض: "إما أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيها أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط... والغرض الثالث أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا"،[2] فالغاية منه لا يخفى في إظهار التأثير والإقناع في المتلقي، وهي طبعا غاية تداولية حجاجية في المقام الأول، فالمعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ..

يراد من الجملة الإخبار إذا كانت خالية المؤكدات، إذا زيد مؤكد واحد فإنه يراد منها الإخبار وإثبات ما بعدها ودفع الشك والظن، أما إذا زيد فيها أكثر مؤكد يراد منها الإخبار وإثبات ما بعدها دفعا للإنكار.

فالمؤكد "**إن**" له من التأثير في التركيب وأثر في الجملة فهو حرف واحد ولكنه بوضعه الموضع الصحيح يحسن الجملة، ويعطيها حلاوة ويكسيها طلاوة واتساقا في النظم ودقة المعنى، وهذا يعني أن التوكيد يمثل أسلوبا حجاجيا يستند إليه المحاجج، ليجعل المتلقي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له، فإننا لو حذفنا التوكيد من هذه المناظرة لتحول إلى إخبار فقط خال من أي طاقة حجاجية كونها تقوي الحجج من مثل قوله :

"أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال".[3]

"بنوك بهائم وإن لبسوا العمائم".[4]

"وأنعام وإن غدو بالإنعام".[5]

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص261.

[2]- خالد إسماعيل، مقال المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار، المجلد5، ع1، آذار، 2015، ص153 .

[3]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص18.

[4]- المرجع نفسه، ص18.

[5]- المرجع نفسه، ص19.

"فإنك أنت الكاسي الطاعم"[1].

"وإن يكونوا لعرضك من المكلمين"[2].

"وإن خطبوا ردوا، وإن عد الناس فما عدوا وإن غابوا فما فقدوا"[3].

وهناك الكثير من المؤكدات في نص المناظرة، فالتوكيد أحد الأساليب تلعب دوراً حجاجيا بارزا في التعبير، ويمثل موقعا متقدما في الاستعمال والتأثير فالتكثيف في استعماله يهدف به الديسي إلى لفت انتباه المتلقي للوضع، واستمالته عند تقديم حججه ومنحها مزيدا من التوثيق والتبليغ.

- **الأساليب اللغوية في الإقناع:**

سأحاول أن أذكر بعض الأساليب اللغوية التي استعملها عبد الرحمان الديسي في مناظرته، وخاصة أن فيها موقفين مختلفتين بين العلم والجهل.

1- الموازنات:

وقد تأتي المقارنة للتشبيه في السلوكيات والأعمال والأقوال وذلك لتأكيد، وإعطاء المصداقية للأقوال ومحاولة كسب التأييد من المستمعين، وقد تأتي المقارنة على أوجه مختلفة كأن يقارن بين ماض وحاضر أو ماض ومستقبل أو بين فعلين حاضرين ... وتتنوع المقارنات بحسب الموضوعات.

ولقد ظهرت في المناظرة بداية من "... أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال... فقام العلم وقد أشاخ وأسن... وقال: يا جهل ما أنت لخطابي بأهل، ولا جدالي عليك بسهل يا موت الأحياء، وقليل الحياء ويا سبب تفليس إبليس..."[4].

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص20 .

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]- المرجع نفسه، ص21 .

[4]- المرجع نفسه، ص17.

هنا كان الديسي يجري مقارنة بتبيان صفات الجهل والمفاخرة بالعلم ومقامه، ونجد إلى "... فلما فرغ العلم من القيل، وسمع الجهل ما في حقه قيل، أبرق وأرعد، ونهض في أكمل شارة وأحسن بزة، وقد انتفخ من الكبر وأخذته العزة، وعلى رأسه التاج والعلم"[1].

ويلي ذلك بعد طول تفاخر امتد إلى التفاخر بمآثر الأمم وخاصة الأمة الإسلامية، وذكر عزها السابق، حيث قال: "وهبك صرت العلامة الثاني، ما بلغت الأماني فسلم لي في سلطاني، فالزمان زماني، والناس خدامي، والدهر عبدي وغلامي... فهل بذكرهم ما مضى يعاد من رونق الأموي، وبهجة الأزهر، ومسجد قرطبة، وفخامة الزيتونة، وضخامة القرويين، وشهرة المدارس الثمان ونظامية بغداد. هيهات هيهات..."[2].

فالمقارنة وردت عند الديسي في مناظرته لإبراز أوجه الاختلاف بين عصور مختلفة، بين أعمال حدثت في الماضي من مجد الأمة الإسلامية التي علا شأنها بالعلم، وبين ما هو موجود من انحطاط لها بالجهل، غير أنه أراد أن ينهي هذه المقارنة. فاختلق شخصية ثالثة في المناظرة وهو العدل والإنصاف الذي أنهى هاته المقارنة حين قال: "قام حينئذ الجميل الأوصاف المعروف بالإنصاف فقال: أيها الخصمان دعا الشنئان، واتركا اللجاج ولا تطيلا الحجاج... فقد اقتضى الإرادة الأزلية أن يكون العالم على هذا النظام، جهلاء وأعلام، فلو كان الناس كلهم علماء فمن ذا يقوم بالمهن، أو جهلاء كلهم فمن ذا يحفظ الشرائع والسنن... بل بينكما تقابل العدم والملكة فاحذر الهلكة وسوء المكلة، فالوفاق بينكما إن شاء الله بركة"[3].

ومن هنا نجد الديسي أراد أن يقنع المستمع برأيه من خلال الزاد المعرفي والثقافي الواسع في علوم شتى، وهذا يحسب له.

---

[1] - الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص23.

[2] - المرجع نفسه، ص29.

[3] - المرجع نفسه، ص29-30.

2- الجمل الفعلية:

تنوعت الجمل في المناظرة بين اسمية وفعلية حسب الموقف، لكن هنا سأبين دور الجمل الفعلية، والتي يدل ظهورها على الحركة والحيوية، وتتمتع بعدة مميزات لا تتوفر للتركيب الاسمي، فهي تملك عنصر الزمن: ماضيا وحاضراً ومستقبلاً، ولها أشكال متنوعة ويمكن التغيير في تركيبها الداخلي ومن ثم فهي تساعد المرسل على تنوع الأسلوب، وتعينه على استخدام أدواته الإقناعية وما يميز التركيب الفعلي أنه يتفاعل مع العالم الخارجي من خلال استخدام مثلاً: "اقتضى- يتوكأ- أتيت -يحتمل" .

وقد جاءت الجمل الفعلية على نطاق واسع في مناظرة الديسي، وكان الزمن الماضي أكثر حضوراً، وهذا يدل على رجوعه إلى الماضي والاستعانة به من أجل تأكيد الحاضر ونجد كذلك استعماله للحاضر في صيغة الماضي من مثل "وكفاه شرفا أن كل أحد يدعيه وكل ذي فطرة سليمة يقصده وينتحيه وأنه ينال بالهمم،[1] لا بالرمم ولا يحاز بنشب ولا يورث بنسب يستوي فيه السوقة والملوك"، نلاحظ هنا أن الأفعال: يورث -يحاز-ينال - يستوي..." كلها أفعال مضارعة، الفاعل فيها العلم..

فقد ورد الفعل الماضي هنا لاستعادة الأمجاد والفخر بها، فالعودة إلى التاريخ والموروث القومي الإسلامي تقوي الخطاب وتزيد من قناعة المستمع وسيطرة الفعل الماضي حتى من خلال المضارع لأنه يتكلم عن ماضي الحضارة الإسلامية حين كانت في أوجها وما قدمته للأمم الأخرى.

وطبعا لم تخلوا المناظرة من الصيغة المستقبلية فهي تأتي لتهدئة النفوس وطمأنتها من أن العلم دوما في أعلى المراتب وهو ما نجده في هذه المناظرة من خلال المفاخرة بين العلم والجهل.

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص18.

3- التكرار:

يعد التكرار ظاهرة لغوية دلالية، متداولة على نطاق واسع، ويستعملها الجميع في مجالات حياتهم، وتظهر في صور متعددة ويكون دورها هو إقناع المتلقي والتأثير فيه، واستمالته وقد يصل الأمر به إلى حد الإذعان وذلك بشدة القرع، إما على اللفظ وإما على المعنى، فمن شأن التكرار اللغوي حينما يستعمل بكثافة أن يغير رأيا أو يرسخ مفهوما أو يستميل طرفا، فقد تكررت بعض الصيغ مثل: "أنا" والتي تدل عن الدور الذي يلعبه العلم، والصيغة "أنت" وهي كذلك تدل على الحط من قيمة الجهل، وفيها نوع من الازدراء وإعلاء العلم، وهنا نجد تركيز الفعل والقول حول الذات باعتبارها هي الأسمى مثل: "فأنا أخدم الأرواح الباقية". ونجده كذلك في "الياء" التي تعود عليه: "فقد كانت أسواقي نافقة وأعلام عزي في الخافقين خافقة"[1].

والتكرار قد يرد بصور شتى، فقد تتكرر الكلمة الواحدة مثل: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". وهو هنا للترسيخ والتأكيد عند المتلقي، فهو وسيلة مهمة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة في إحداث نتيجة إيجابية وهي كذلك على الجانب النفسي والعقل الباطني .

- حجاجية البنى الإفرادية:

تكتسب بعض الصيغ الصرفية قوة معنوية تؤهلها للتعبير عن المعنى بفاعلية أكثر، فتضيف ظلالا وإيحاءات وإيماءات للقول، مثلما نلمس ذلك في صيغة المبالغة واسم التفصيل، الذين يتضمنان معاني متعالية على الأصل، وهو ما يمنح للبنية الإفرادية وظيفتها الحجاجية فتفرض سلطتها على المتلقي، وتضعه في مواجهة المعنى الوحيد، كما نلمس ذلك في جمع الكثرة عندما يتحول المعيار العددي إلى وسيلة حجاجية لها دورها في التأثير على المتلقي مثلما نلاحظ في الصيغ التالية:

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل ، ص21.

أ- اسم التفضيل:

حجاجيته تظهر في دفع المتلقي إلى الانحياز لـ "أ" العلم على حساب "ب" الجهل وهذا عبر إغوائه بإظهار تفوق "أ" العلم على "ب" الجهل في الصفة التي يشتركان فيها مثل: "إلى سائر ما أنعم به عليهم أهل الإحسان"، "ونهض في أكمل شارة وأحسن بزة".[1] فنجد صيغة فعال: ثياب- طغام-رعاع-عباد-غياث-...، وصيغة فعائل كذلك: بهائم جحافل" .

ب- جمع الكثرة :

يعتبر جمع الكثرة أسلوبا من أساليب الحجاج الكمي، الذي يعتمد على الغلبة العددية ما يؤدي في المقابل إلى ترجيح ذهني لدى المتلقي، وتحصل بموجبه عملية تأثير وتوجيه غير مباشرة لوعي الجمهور ومحاولة تغيير طريقته في التفكير.

فسأحاول ذكر خمسة أو أربعة وهي الموجودة في نص المناظرة:

- **فعال**: ثياب-طغام-رعاع-سهام-عباد-غياث...
- **فواعل**: بهائم، عمائم...
- **فعول**: بنوك...
- **فعائل**: جحافل...

إضافة إلى ذلك نجد صيغة **مفاعل** بكثرة ويظهر جليا دورها الحجاجي في النبر الصوتي كذلك في النغم الموسيقى من مثل :"معاطب– ممالك– معائب– مكارم– مثالب– مواكب– مساكن..." إلى غير ذلك.

جـ -اسم الفاعل واسم المفعول:

يمثل كل من اسم الفاعل واسم المفعول حسب السياق دوراً حجاجيا إنما بالمعنى الحجاجي الكامن فيهما أو التأكيدي أو غيرهما، ففي المناظرة استعمال هذه الصيغ قد ساعدت الديسي لنجاح مناظرته وعمليته الحجاجية، وهو استمالة المتلقي والتأثير فيه مثل:

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص23.

"بعد حمد ملهم الصواب، وكاشف الأوصاب"[1]. فالملهم اسم فاعل والإلهام ما يلقى في القلب بطريق الفيض وهنا يبدو الحجاج في حسن الفاتحة.

وكذا في اسم المفعول: محمود– محبوب– موجود– منسوب ونجد إضافة لذلك صيغة: **فعال** في: "وإليك ينتسب كل قمار وخمار ومغن وزمار"[2]. الدور الحجاجي هنا هو في دقة الوصف بأرذل صفات للجهل .

ونجد صيغتي: **فاعل** و**مفعول** بالتعاقب أو التناوب للتأثير ومحاولة إقناع المتلقي في قوله: "وغادر ومنجم وساحر ومشعبذ وكاهن وخليع وماجن"[3]. كلها أوصاف يريد الديسي تركيز المتلقي.

د- صيغ المبالغة:

استعمل الديسي صيغ المبالغة بكثرة، وهنا يظهر دورها الحجاجي من خلال تهويل رذائل الجهل والرفع من قيمة العلم إلى أسمى المراتب من خلال هذه الصيغ التي تعمل عمل الفعل:

مفعال ميراث- مفتاح.

فعيل أنيس- رميم - كنيف - أمين- سفيه – حليف- أريب–أديب –بسيط- كريم –مليح- حديث – حفيد.

فعال قمار –خمار- زمار – علام – زيان – هراء– جبار- نظام.

فعول جنود – بيوت – شيوخ – هجوع – عروس – عروض.

- حجاجية الاستشهاد:

الاستشهادات روافد نصوصية تغذي المناظرة، وتضيف إليها قوة إقناعية لم تكن لتتمتع بها من دونها، وهي تعني: "نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة عن متكلم آخر غير

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]-المرجع نفسه، ص20.

الذي يستشهد، وذلك بأكثر أمانة ممكنة، أو على الأقل بإعطاء انطباع من الدقة من أجل إحداث تأثير تصديقي في الحجاج"[1]. والشواهد ليست نصوصا لغوية فقط، ولكنها تعني أيضاً" وقائع ومعطيات وأمورا دقيقة وأرقاما وتفاصيلا، وذلك لتدعيم حجة مثلما يقال: "أستشهد بوقائع، وأستشهد بأرقام وأستشهد بأسماء"[2].

فالشواهد تلعب دوراً كبيراً مع الأمثلة في دحض حجج الخصم، باعتبارها المادة التي يقدمها المجادل ليزيد من تصديق المخاطب لمقدماته وتبريره، لأنه يعني أثرها في دعم دعواه"[3].

فالشاهد في رأي "أرسطو" هو بمثابة القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، التي تندرج ضمنه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر والأمثال والحكم، فهي التي تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة عليها وتواترها"[4].

لأن المناظرة تصوغ موضوعها بين الجدل القائم بين العلم والجهل بأسلوب أدبي وشيق، طريقه إلى عقول المخاطبين ووجدانهم بواسطة بنية حجاجية متكاملة ومتنوعة، فتقدم المناظرة هيكلها الحجاجي بالاستناد إلى شبكة من الحجج والبراهين المنطقية والأسلوبية وخارطة لتغيير الوضع الثقافي التعليمي بالجزائر.

وعلى هذا الأساس يمكننا الحديث عن البنى الاستشهادية التالية في مناظرة الديسي:

---

[1]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص94.

[2]- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، منشورات عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2010، ج4، ص16-17.

[3]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص65.

[4]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص65.

1- الشاهد القرآني:

يعتبر القرآن الكريم كتاب مركزيا في حياة المسلمين فهو كلام الله ووحيه، لذلك يمثل الاحتجاج به إضافة مهمة لأي خطاب بشري، وقد تضمنت المناظرة عدداً من الاقتباسات القرآنية دعما للحجة وتقوية آرائه.

كما تضمنت آيات على سبيل الاقتباس غير المباشر يحذف جزء منها كي ينسجم تركيبا مع النص من مثل: "يا هادم البيوت يا أوهى حجة من نسج العنكبوت"[1]. فالجهل يهدم بيوت العلم المعروفة به إن خلت منه، وأوهن أضعف والحجة البرهان ونسيج العنكبوت مثل في الضعف والوهن ومرجعه لقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة العنكبوت الآية41].

كذلك "قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون"، تعزيزا لرأي الديسي بين العلم والجهل أي لا مساواة بين الفريقين.

ونجد "ألم تسمع ما يتلون، **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ**" هنا يعتز ويفتخر الجهل أيضا للعلم بقوله أنا الأصل لأن الإنسان أول أمر جاهلا، والعلم طارئ عليه بالتعلم، وحين قال وأنت الطارئ إلا المصطفين من الأنبياء والأخيار، فإنهم يخلقون على كمال الفطرة والمعرفة بداية من سيدنا آدم ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾، [سورة البقرة، الآية 31]، إلى سيدنا يحي وهنا احتج الجهل على دعوى الأصالة بالآية الكريمة، والغرض منه موبخا ومقورا أي ألم تسمع يا علم ما يتلون أي يقرؤون في الآية السابقة .

2- الحديث النبوي الشريف:

الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للتشريع، فهو أسمى لغة عربية، متميزا بغزير المادة وواسع الثراء اللفظي، فهو علم رفيع القدر، لا تفنى محاسنه على مر الزمن وسيبقى إلى جانب القرآن في الاستشهاد والاحتجاج، ففيهما ازدهار اللغة العربية، وسر

[1]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص23.

تقدمها، فالتمسك بهما سر النجاح والتقدم للأمة الإسلامية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**".[1]

والحجاج في الحديث النبوي ليس غاية في حد ذاته، ولكنه وسيلة لتحويل المضامين التشريعية والتربوية إلى منجز فعلي وواقع سلوكي حيث السعي إلى الإقناع وتمكين الفكرة وتحويلها من فكرة قابلة للنقاش إلى ثابت مستقر ليس إلا وسيلة لتحقيق غاية الإبلاغ.

وللحديث النبوي قوة حجاجية مهمة، تساعد الديسي على إبراز موقفه ودعمه بقوة وتمرير رسالته في التغيير الإيجابي بيسر وبثقة في حسن تلقيها من الجمهور المستعد للامتثال والرضوخ لأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم من مثل: "ميراث الأنبياء" وهو تلميح لحديث العلماء ورثة الأنبياء وهي حجة مفروغ منها ولا نقاش فيها، "ونعم الأنيس في الوحدة، والمعين على الشدة والزاد والعدة"،[2] وهو مأخوذ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في فضل العلم الذي رواه ابن عبد البر وغيره: "أن العلم هو الأنيس والوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء، السلاح على الأعداء والزين عند الإخلاء"[3].

وكذا "يستغفر لأهله كل شيء حتى حيتان الماء ووحوش البر وطير السماء"[4]. وهو مقتبس من الحديث الشريف ومن حيث معاذ المار يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه، وقيل سبب استغفار هذه الأشياء للعلماء، رجوع أحكامها إليهم في صيدها وذكائها وحلها وحرمتها.

وهنا القصد من الاستشهاد بالحديث هو تغيير رأي السامع، وتحفيزه واستمالته وإقناعه بفكرة العلم هو أساس الحياة والتطور والمضي قدما نحو الأفضل وإلى أسمى

---

[1]- الحديث في موطأ الإمام مالك جامع رقم الحديث 1874-7012.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

[3]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص97.

[4]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

المراتب و"الحديث ابن عبد العزيز المجدد الهمام".[1] وهو تلميح لحديث "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة من يجدد لها أمر دينها"[2] وهو أمل في تغيير للوضع المزري الثقافي في الجزائر إلى الأفضل. "وضع النحو، باب مدينة العلم الإمام" بابها هو الإمام علي بن أبي طالب وهو مقتبس من حديث "أنا مدينة العلم وعلى بابها".[3]

3- الشاهد الشعري:

تمثل الشواهد الشعرية بنية تعضدية تسهم في الرفع من إقناعية المناظرة، وذلك لأنها تحليل على مخزون ثقافي وجمالي له أثره الواضح على المتلقي: "فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع".[4]

فقد استشهد الديسي في مناظرته بالشعر ضمنيا في مثل قوله: "وإن قصرت لذتك على المباني، فقوت الروح أرواح المعاني".[5] وهو تلميح لبيت من قصيدة تائية بديعة لبعض الأندلسيين في التحريض على العلم والتنفير من الجهل ونص البيت هو:

فقوت الروح أرواح المعاني و ليس بأن طعمت وأن شربت.

نجد الديسي قد استشهد شعريا بكم معتبرمن الأبيات، حيث نجد ذلك في:

أخو العلم حي خالـــد بعـــد مـــوته وأوصاله تحت التراب رميم.

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم[6].

ولأن العلم معنوي فلا آفة تلحقه عكس المال، وأهل العلم أحياء وهم أموات ولا كذلك الجهلاء.

---

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص23.

[3]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص97.

[4]- عبد الهادي الشهري، آليات الحجج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته تأليف جماعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط 1، 200، ص128.

[5]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

[6]- المرجع نفسه، ص17.

وهذان البيتان هما لأبي محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي الأندلسي وقد ذكر في الشرح المناظرة.

أيضا "أو بالخيل والليل فلامك الويل نفكل ما أضيف لك فهو حقا للشيطان وليس له على عباد الله المخلصين من سلطان"[1].

ومما وجدته أثناء دراستي أن الديسي متأثرا كثيرا بالمتنبي فقد وصفه بالزعيم، واستشهد به في أكثر من موضع. فهنا يقول" أنه مما يفتخر به الجهلاء، ويتيه به الحمقاء ركوب جياد الخيل وسرى حناديس الليل كما قال المتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فالحجة هنا أن الويل والهلكة والعذاب مختص بأمر الجهل الفاخر أيضا:

"تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا"[2].

جيئ بهذا البيت ليحتج أن للعلماء في الدنيا المكانة الرفيعة والمنزلة السامية، ليحاول إقناع المتلقي وأن لهم الطاعة في الخلق لأن قلوبهم جبلت على تعظيم العلم.

نجد الجهل وهو الطرف الثاني يحتج كذلك بيت للمتنبي مفتخراً بأصالته ومحطا لأمره العلم:

ليس الفتي من قال ها أنا ذا لكن الفتى من قال كان أبي

4- الاستشهاد بالمثل:

تتجلى القوة الإقناعية للمثل في قدرته على صوغ المعاني الكثيرة في أقل قدر من الألفاظ، نتيجة لارتباط المثل دائما بظروف إنتاجه الحاضرة في كل توظيف جديد. وهي كثيرة سأحاول ذكر بعضها فقط:

- **ü** "الحكمة تذهب الفطنة والتخم والخم" وهي من كلام السالفين.
- **ü** "أصل كل داء البردة قضية مسلمة".

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص19.

[2]- المرجع نفسه، ص25.

- "المعدة بيت الداء".
- "الحمية رأس الدواء حكمة نبوية معظمة".
- "بنوك بهائم وإن لبسوا العمائم" وهي مأخوذة من جسم البغال وأحلام العصافير.
- و أخرى: "ما الإنسان لو لا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة". ويقال أيضا "ما الإنسان إلى القلب واللسان" وهي تنسب لابن البنا.
- "وأنعام وإن غدوا بالأنعام" وقد قال الحكماء: "لو جرت الأقسام على قدر العقول لم تعش البهائم".

هنا يبدو جليا بنية الاستشهاد لدى الديسي في أرقى مراتبها وهذا ينبئ عن الكم المعرفي له.

نجد كذلك الاستشهاد التاريخي، وهو باد من خلال ذكره لأعلام الفقه والنحو والدين والشعر والبلاغة بعضهم غرب من أمثال أرسطو وأفلاطون، كذلك نجده يفتخر بالأمة الإسلامية منذ بدايتها، العهد الأموي العباسي الدولة الزيانية المحمدية....

- **أقطاب العملية الحجاجية في المناظرة** :

أو كما تسمى عناصر العملية التواصلية فهي تقوم بوجود قطبين مهمين فيها وهما:

1- القطب الأول: الإرسال– المرسل.

2- القطب الثاني: وهو الاستقبال– المرسل إليه.

وبينهما رسالة تشترط الفهم والإفهام، فهدف الأول وهو التأثير والإقناع للطرف الثاني بطريقة ما أو بحجة ما.

لتغيير سلوكه أو وجهة نظره أو رأيه.

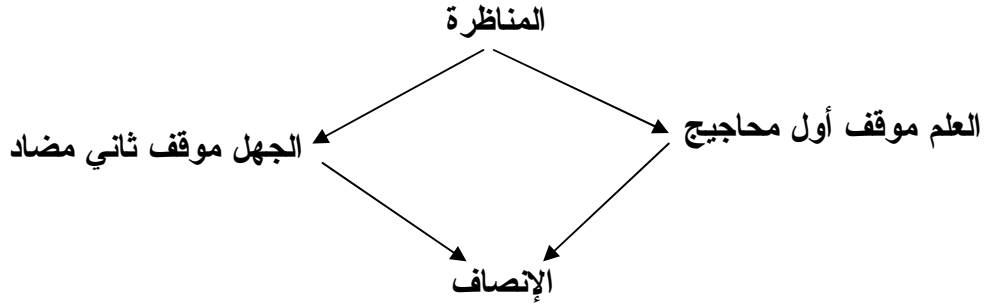

كموقف محايد يخلق توازن بين الطرفين

نجد كذلك ثنائية الشخصيات في المناظرة بحيث نخلص إلى:

- المصداقية المباشرة.
- المعرفة الجيدة بالطرف الآخر. من خلال محاولة دحض كل حججه وتبيان صفاته أو رذائله.
- الثقافة الموسوعية للديسي من خلال عرض رأيين متناقضتين تماما وحججا متناقضة.
- التحكم في اللغة إذ لا بد من انتقاء الألفاظ والتراكيب المناسبة للموقف والحدث.

- **حسن الابتداء ومسك الختام:**

لأول الكلام وآخره أهمية حجاجية كبرى، فهما يتمتعان بقدرة استمالة المتلقي، ودفعه ليبقى على اتصال مع موضوع المناظرة ولو بعد زمن من سماعها وقد أدرك ابن رشيق هذه الأبعاد التداولية فقال: "حسن الافتتاح داعية الانشراح ومظنة النجاح... وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح والأعمال بخواتيمها"[1]. وهي رؤية متقدمة لوظيفة البدايات والنهايات في الخطاب الأدبي لا يمكن تجاهلها.

وقد اتسمت المناظرة بفاتحة رائعة بصورة لاهجة بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى في قوله: "بعد حمد ملهم الصواب وكاشف الأوصاب والصلاة الكاملة، والتحيات المتواصلة الشاملة علي سيدنا محمد وآله وصحبه والفئة العالمة العاملة"[2] ودون أن يحدث هناك شرخ أو انفصام باشر الموضوع بقوله: "فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال فاجتمع قوم وعينوا لذلك يوم..."[3].

فالمقدمة اصطبغت بما هو ديني وروحي إلا أنها مرتبطة برهان يحاكي الواقع المزري وتشاكله، ومن هنا نجد أن أولى الوظائف ممثلة في استقطاب المتلقي، وضمان

---

[1]- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص224.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

[3]- المرجع نفسه، ص17 .

تحوله من مجرد مستمع إلى شريك في العلاقة التجادلية التي يتم على ضوئها التحاج والتحاور والبرهان خصوصا أن المقدمة تضمن تصريحا لا إيحاءً عن موضوعها عبر مجموعة من القرائن (Les Indices) وهو ما تسميه البلاغة العربية براعة الاستهلال .

أما الخاتمة فإنها تكتسب أهميتها من موقعها في المناظرة "فهي آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به".[1] وبالتالي تفرض على المناظر أن يضمنها زبدة كلامه وعصارة أفكاره، وهو ما جاء به الديسي حينما أدخل طرف ثالث لفض النزاع والجدال القائم بين العلم والجهل، وهو العدل والإنصاف في قوله: "فلما طالت بينهما المشاتمة وكاد الأمر يفضي إلى المضاربة والملاكمة قام حينئذ الجميل الأوصاف حلية المتقين والأشراف... وختمت المقامة بحمد أهل الجنة في دار المقامة، والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وهي أحسن الخواتم والغرض من تلفيق هذه الكلم ونظمها في سمط الحكم والله أعلم بالنيات إيقاظ العزائم وتحريك الهمم".[2]

- **الأفعال اللغوية** Les acte de langages:

الأفعال هي الجمل التي لا تصف أي واقع خارجي، فلا يمكن القول عنها صادقة أو كاذبة ولكن مجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلا، ولها أدوار مختلفة في الحجاج إذ يقوم كل فعل منها بدور محدد في الحجاج.

ومن الأفعال اللغوية نجد الاستفهام، الأمر، النهي والنداء، لذا سأحاول رصد البعض منها وكيف ساهمت في العملية الحجاجية؟.

1- الاستفهام:

يعد من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجا فله، دور كبير في العملية الإقناعية نظرا لما يعلمه من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، ويسميه "**ديكرو**" و"**أنسكومبر**"

[1]- ابن الرشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص225.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص30.

الاستفهام الحجاجي ويعرفه بأنه: "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقا من قيمته الحجاجية"[1].

فهو يأتي للتأثير في موقف الخصم وإضعاف حجته أو توجيهه بواسطة مقصديات وأغراض يتبناها، ويوظفها المنشئ اعتمادا على سياقات المستقبل فإن "لكل من المتحاورين بناء فكريا يدافع عنه بكل ما أوتي من حجج وحيل وطاقات بلاغية تستغل فيها أطروحات الخصم وأسئلة في الأبنية الحجاجية المضادة وذلك عبر حركة استرجاعية يشترط فيها الحذق وسرعة البديهة والخبرة"[2].

من حيث الانتماء اللغوي والبلاغي من أبرز أساليب الإنشاء الطلبي، وهذه الأخيرة تبدو علاقتها بالمقام الحجاجي أقوى من الأساليب اللغوية الأخرى، لأنه خير وسيلة لإثارة الآخر ودفعه للإعلان عن موقفها تجاه ما يطلب منه أو ما يعرض عليه من أسئلة وأفكار، فالأساليب الإنشائية خلافا للخبرية لا تنقل واقعا، ولا تحكي حدثا فلا تحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنما تثير المشاعر فهو من أهم البنى التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي لذا فإن إثارة الأسئلة والأسئلة المضادة هي جزء فاعل ومؤثر في سياق اللعبة الحجاجية. فاضطلع بوظائف تداولية تأثيرية، فضلا عن وظيفته النحوية الشكلية، فنجده بكثرة في نصوص المناظرات، ونعلم أن الهدف الكلي للمرسل من خطابه في كل هذه الأصناف الحوارية هو إقناع المرسل إليه.[3]

فللإستفهام مسارات حجاجية: "جذب الانتباه والحصول على المعلومات، وإعطاء معلومات واختيار صحة المعلومة، أو إثارة التفكير وتنشيط المناقشة والوصول إلى نتيجة وتغير مجرى الحديث، وكسب الوقت وإضاعة الوقت، وإرباك المفاوض وحصار الخصم واستفزازه".[4]

---

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص57.

[2]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص55.

[3]- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص172 .

[4]- المرجع نفسه، ص172.

وسأحاول التطرق إلى أهم التقنيات الاستفهامية الإقناعية باختصار لأن المجال يطول في الحديث عنها :

أ- الاستفهام التشهيري: "التشهير بأخطاء الخصم":

هي عملية يقوم بها المحجاج ضمن دائرة الاستفهام لإبراز نقاط الضعف في شخص الخصم أو في حجته فـ: "لا تقف الأبعاد الحجاجية لسؤال الاستنكار عند هذه الحدود، بل ترتبط كذلك بالتشهير بأخطاء الخصم أو النفخ فيها حتى يتسرب الارتياب لصاحبها وحتى يتسع حجم فداحتها أمام الحضور"[1].

ولأن مناظرة الديسي تحمل المحاجح والمحاجج في نفس الوقت أي طرفين نقيضين يحاول كل واحد منهما التشهير بأخطاء خصمه، يعرض حجج في نفس المستوى من ذلك: "كيف تكون لي أنت المجاري، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟".[2]

"ألست صفة كل شرير ومارق؟".

"أليس نقصا فيك ما قال عنك الإمام، أنك لعسرك لا تحد..؟".

فاعتماد مبدأ التشهير والتوبيخ والحط من القيمة من شأنه أن يحجم الخصم ويحيطه بهالة سلبية، أي إن سقطت حجة المعارضة ثبت نقيضها، دون أدنى شك أو باستدلال جيد.

فقد عبر الديسي عن ازدرائه لما صدر من الجهل قولا وفعلا، معرضا به، فكان الاستفهام أسلوبه الأنجع إثباتا وتشهيرا، نجد كذلك تعاقبات استفهامية مثل:

"وهل كالجهالة عمى وعمه، أو مثل الجاهلية سفالة وسفه، ألا يرى مجاهل المسالك... ألست صفة كل شرير مارق".[3]

ونجد الجهل كذلك يحاول أن يشهر ببعض أخطاء العلم على حد قوله مثل:

---

[1]- عادل عبد اللطيف، بلاغة المناظرة، ص216.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

"ومن أين لك على مقاومتي المقدرة... أتفخر ببنيك الشعث الغبر... وانظر إلى الترك والأكراد كيف بادروا الإنقياد...".[1]

"تلك أمة قد خلت ورسوم درست وعفت، فهل بذكرهم ما مضى يعاد" [2].

ولأن الاستفهامات مصائد حجاجية تجرف الخصم إلى سياق مناهض لما كان يعتقد، فنجد الديسي هنا بعدما بدأ كل طرف بعرض حججه- العلم والجهل- ولما بلغ الأمر أوجه أدخل طرف ثالث وهو العدل والأنصاف، محاولة منه لفك هذا النزاع بالتوفيق بينهما. في قوله: "أيها الخصمان دعا الشنآن واتركا اللجاج ولا تطيلا الحجاج، وأنتما المتعاقبان على نوع الإنسان، والوصفان له اللازمان، إن فقد هذا وجد ذاك فبينكما بهذا المعنى اشتراك وكلاكما من أثار القدرة وبدائع الفطرة..."[3].

ب- الاستفهام الاستنكاري:

الاستفهام الإنكاري أبلغ الأساليب لأن فيه حث للمخاطب على التفكير، فهو في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى التفكير، وهو الإبطال الذي يأتي بسياق النفي والإقرار به ومن ثم الاقتناع بالفكرة المراد لها أن تساب في عقل المتلقي ووجدانه مثل:

"ألا يخاف أحكام فقهائي".

"ألا تفزع من كلام المتكلمين".

"ألا يرى مجاهل المسالك"[4].

فقد وظف الاستفهام في المناظرة توظيفا دقيقا، ومن الواضح أن أساليب الاستفهام التي عمد إليها الديسي لا يروم من خلالها تحصيل معرفة، وإنما تتضمن تقنيات حجاجية تسعى إلى زعزعة مكانة الجهل وأفعاله وأقواله وتأكيد مقام العلم، وهذا من خلال الحجج المقدمة من كلا الطرفين وهنا يبرز الدور الحجاجي للاستفهام لكونه يولد نقاش وجدلاً

[1]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص29.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

[3]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص40.

[4]- المرجع نفسه، ص19-21.

ومن ثم حجاجا، فله بنية حجاجية على طرق القضية المخصوصة المستفهم عنها، إذ يفترض الأسلوب الاستفهامي شيئا تعلق به ذلك الاستفهام.

فلو تطرقنا إلى صيغة الاستفهام "هل" التي تعتبر رابطا حجاجيا بنيويا يضفي على دلالات النص التماسك والترابط من مثل:

"وهل كالجهالة عمى وعمه".

"وهل عند رسم دراس من معمول"[1].

ولأن صيغة الاستفهام أداة حجاجية ناجعة تحفز المتلقي على استيعاب جوهر خطاب الحجاج والإصغاء له، وهذا ما أكده الديسي انطلاقا من افتراض ضمني مفاده أن ما يؤسسه الخطاب حقيقة مطلقة لا يمكن التشكيك بها.

2- حجاجية النداء:

يعد النداء توجيها لأنه يحفز المرسل إليه، لردة فعل اتجاه المرسل والنداء إلى جانب وظيفة الإظهار والإعلام يتحقق فعلا خطابيا في التفاعل ليتعدي إلى وظائف سياقية مقامية يولدها الموقف يقول الفرابي: ".. فإن النداء يقتضي به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على النداء ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء"[2].

وقد استعمل الديسي النداء بكثرة يصل أحيانا لدرجة السخرية والتحقير والإذلال للجهل، طلبا من المخاطب الالتفات، محاولا تغيير وجهته للعلم وأثره الطيب في النفوس من الأقوال والأفعال والأعمال.

ففي المحاججة يصبح نهجا للنصح والإرشاد وتغيير الطريق ورفع التحدي، في مثل قوله: "ويا قليل الحياء ويا سبب تفليس إبليس ويا حلية كل دنيء وخسيس".[3] قد يخرج النداء إلى معان إنشائية أخرى أهمها السخرية، الازدراء، الاستهزاء والحط من القيمة

[1]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص21-22.

[2]- الفارابي، الحروف، نقلا عن مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط5، 2005، ص148.

[3]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

وكلها لها قيمة حجاجية تتمثل في تقوية المعنى "فهو أكثر الأفعال الكلامية تأثيرا لما يحمله من قوة كلامية Foce illocutoire تريح المتلفظ"[1].

فمن خلال هذا النوع من النداء، وضح العلاقة التنافرية بين العلم والجهل وهذا يعطي ثراء لدلالات الخطاب، في مثل قوله "يا جادع مارن الشرف، يا مفتاح باب التهور والسرف، يا عار الخلف على السلف، يا هادم البيوت، يا أوهى حجة من نسج العنكبوت، يا مفسد العبادة، يا سيء العادة، يا قليل الإفادة، يا مردود الشهادة، يا متلفة الأموال، يا متناقض الأحوال، يا مسود الأنذال، يا مقدم السفلة والأرذال، يا عيبة العيب، يا مثار الحيرة والريب"[2].

فبداية نجد أنها تعاقبات قصيرة وهي حجج حاول تأكيدها، وتقوية المعنى من خلال أنه شبه الشرف بإنسان كامل الصورة، واتصافه بالجهل كقطع أنفه الشائن له وكذا على حد قول العلماء: "خلف السوء يهدم الشرف ويشين السلف، فالجهل يهدم بيوت العلم والمعرفة به وإن خلت منه والحجة هي نسج العنكبوت في الضعف والوهن، وبين أن الجهل مفسد العبادات وسبب تلف الأموال وهو مخزن العيوب وجماع الآثام والذنوب، وسبب الحيرة في الأمور، وفي الأخير يؤكد حجاجية النداء بأن لسان العلم قاصر عن استيعاب معائبه ومساوئه لأنها فاتت الإحصاء.

نجد كذلك "فبربر وبرطم وزمجر وجرسم، وقال: يا علم ما هذا الإفراط في الظلم"[3]. فالغاية هنا لفت الانتباه إلى الجهل معنفا ومخاطبا العلم ويفتخر بمقامه، وفي نفس الوقت تلا ذلك تهديد وتهويل لأنه على غاية من القوة والاستعداد فلا يقوى العلم على مقاومته.

وفي مكان آخر نجد الأدوار تنقلب أيضا، فنجد الجهل يفتخر، ومحاولا الحط من قيمة العلم بأنه قليل الأنصار والأعوان والأتباع، وغلبة الجهل على الأغنياء لأنهم

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص125.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص18.

[3]- المرجع نفسه، ص21.

مشغولون بجمع المال وتنميته وتثميره عن تحصيل الكمال العلمي والأمراء تمنعهم حلاوة الولاة، ونصب المناصب عن الاشتغال بالعلم وبذل الهمة في اقتنائه، حيث نجد فيه تلطف في الخطاب إيناسا واستنزالا ليقبل منه ما يقول (الجهل) من اللصوصية في سلب أموال وأرواح أولاده في قوله "وما عيرت أولادي به ياذا البركة من اللصوصية..."[1].

فالنداء عاملا لتحقيق مجموعة من الحجج هي كالّآتي:

- كثرة الرذائل والصفات والأقوال والأفعال والأعمال السيئة للجهل.
- و في المقابل كثرة المناقب الحسنة والأعمال التي بنى صرحها العلم.

ويمضي عبد الرحمان الديسي في استخدام الصيغ الإنشائية وتعدادها وتكرارها، ليحدث إثارة مخاطبه وتحريك همه وتحفيزه لتغيير الوضع الثقافي والتعليمي في الجزائر من الوضع المزري: من انتشار الأمية والجهل، ومحاولة بعث وإحياء وتجديد، وكذلك يضمن استجابته، وقد يستخدم في خطابه الذي يتجاوز السطر الواحد أكثر من أسلوب: نداء، أمر، نهي واستفهام... لأنها الأساليب التي تثير الانتباه وتجذب السمع، وهو حينما ينتقل بين هذه الأساليب ويكثر من استعمالها إنما يهدف إلى أن ينقل السامع معه من حال إلى حال حتى لا يتسرب إلى نفسه الملل، وحتى يتابع لفته إلى خطابه ليشعر وكأنه يشارك في أحداث الخطاب، ويتفاعل معها على نحو ما يوضح القزويني: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء، إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[2].

فتنويع أساليب الخطاب على السامع، حيث يعدل المتكلم من أسلوب إلى أسلوب ليكون أقرب إلى السامع، وأفيد له وأجلب إلى اقتناعه بما يدعو إليه وتلك هي قيمته الحجاجية.

---

[1]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص120.

[2]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1 2003، ص69.

IV- المبادئ الحجاجية:

وجود الروابط والعوامل لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لا بد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو من يعرف بالمبادئ الحجاجية "les topoi"، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة، تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا، ولها خصائص عديدة، منها ما يلي:

1- إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة .

2- **العمومية**: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

3- **التدرجية**:"la gradualite"، إنها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلميين حجاجين (العمل- النجاح) مثلا.

4- **النسبية**: فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له،[1] فالعمل يؤدي إلى النجاح ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر، إذا زاد عن الحق المطلوب وإذا نظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة، وإذا نظرنا في المثالين التاليين:

- أنا متعب- إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

- سينجح زيد لأنه مجتهد.

فسنقول إن المبدأ الحجاجي الموظف في الجملة الأولى هو:

- بقدر تعب الإنسان، تكون حاجته إلى الراحة.

ويمكن أن يصاغ هذا المبدأ صياغة تعبيرية أخرى.

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص31.

- كلما كان الإنسان متعبا، كان بحاجة إلى الراحة .

- يكون الإنسان بحاجة إلى الراحة بمقدار ما يكون متعبا.

- يعد الحجاج اللغوي، ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب بحسب ديكرو، وهذا ما كشف لنا عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية الكامنة في نص المدونة، من ذلك الاعتناء بحروف الربط وحسن اختيارها، ومواقع ورودها في الملفوظ من أجل توجيه الكلام الوجهة الصحيحة التي يرومها المتكلم منذ البداية، وهذا ما يعرف في الدراسات الحجاجية بالروابط الحجاجية، الذي كان وجودها ضمن الخطاب لا يهدف إلى ربط سياق الكلام من أجل إيضاح عملية إخبار المتلقي وتقديم المعلومات، بل استعان بها الديسي للتأثير والإقناع وإيصال المقاصد الحجاجية التي يريدها .

لذلك أعطى الديسي هذه الأدوات اللغوية دوراً كبيراً في تأدية المعنى، فتتحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب انطلاقة قوية ومؤثرة وتحقيق البعد الإقناعي عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم، وهذا ما جعلها عناصر لغوية تلعب دوراً أساسياً في اتساق النص وانسجامه وربط أجزائه، شكلاً ومضموناً، من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية للملفوظات، هذا ما دأبت عليه المدونة.

- ضوابط الحجاج:

على المرسل أن يلتزم بعدة ضوابط حجاجية، سأحاول ذكر بعضها :

1- أن يكون الحجاج ضمن إيقاع الثوابت، الثوابت الدينية والعرفية فليس كل شيء قابل للنقاش والمحاورة أو الحجاج وهناك مسلمات يجب احترامها .

2- أن تكون الألفاظ منتقاة ودلالتها محددة[1]، والمرجع الذي تحيل عليه الخطاب محدد كذلك.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص365-366.

3- ألا يقع المرسل في التناقض بالقول أو الفعل، كمن يدعي أنه عضو في لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم يستعمل في ادعائه حججا واهية ضعيفة أو أن يسيء الأدب مع المرسل إليه، لأنه في هاته الحالة هو يناقض نفسه في اللحظة التي يتلفظ فيها بخطابه "[1].

4- مرافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

5- توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل وإمكانية مناقشتها أو تنفيذها ودحضها، وإلا انقطع التواصل ومن ثمة الحجاج، وتقفت عملية الفهم والإفهام، بالإقناع .

6- امتلاك المرسل لثقافة واسعة، خصوصا المجال الذي يدور حوله الحجاج.

فتمسك المرسل بهذه الضوابط يمكنه من تحقيق هدفه من الحجاج تجاه المرسل إليه، وهو التأثير والإقناع، ويتم هذا الإقناع بتوسل آليات متعددة بتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المخاطبين.

ثالثا- الحجاج البلاغي:

تعد البلاغة من آليات الحجاج، لاعتمادها على الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية، بمعنى إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا، حتى يتقبل القضية، فـ "وراء كل حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأن مدار ذلك هو الإغواء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع"[2]. فالبلاغة إذن طاقة حجاجية بامتياز قادرة على إثارة واستمالة المتلقي عبر وسائل بلاغية بحيث تكمن: "أهمية الوسائل البلاغية فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص366.

[2]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، حفاظ إسماعيل علوي، ج3 ص45

وتصلبين أقسامه، أمكن المتكلم تحقيق غايته من الخطاب"[1]. لذا تعبير هذه الوسائل أو الوجوه البلاغية من أهم البنيات الحجاجية التي يقوم عليها البناء العام للمناظرة، فهي لا تنحصر فقط في الزخرفة والتنميق والتزويق وتلميق القول، بل ترتبط أكثر بوظيفتها الحجاجية كما أسلفت الذكر .

وهذه المناظرة بما أنها جدلية بين شخصيتين وهميتين وهما العلم والجهل، فهي إقناعية للغرض الذي نظمت لأجله، فقد تناولت موضوع مآثر العلم ورذائل الجهل وأفضلية الأول عن الثاني في كل مجالات الحياة، لذا نجد بعض الغموض والكنايات بالرغم من أنه خطاب موجه قصد تفنيد الحجج التي أتى بها الجهل وتأكيد الحجج التي أتى بها العلم، ولهذا نجد الديسي استعمل الكثير من المحسنات البديعية، ووظف بعض الصور البلاغية لتقريب الفكرة والتأثير في السامع باستنهاض فكره وإيقاظه من غفلته .

1- بلاغة الصورة:

ليست الصورة متعة شكلية فحسب، ولا زخرفا فنيا عارضا ولكنها أداة إقناع، وقناة اتصال، وهي ذات سلطة حجاجية كبرى تظهر "في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلها نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به".[2]

- الصورة التشبيهية:

للتشبيه وظيفة تأثيرية تحدثت عنه كتب البلاغة فهو: "اللفظ الدال على مشاركة أمر لأمر في المعنى"[3]. فقد ذكر الجرجاني عن تشبيه التمثيل فقال: "وإن كان حجاجا كان

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بيته وأساليبه، ص120.

[2]- الجرجاني، أسرار البلاغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2007.ط1. ص88

[3]- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ط3، ص328

برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[1]. فالتشبيه أو المماثلة إنما يؤتى به لزيادة التوضيح وإقامة الحجة على المخاطب.

نجد تشبيه ضمني في قوله: "يا جادع مارن الشرف، يا مفتاح باب التهور والسرف".[2] الجادع القاطع، والمارن الأنف، شبه الشرف بإنسان كامل الصورة واتصافه بالجهل كقطع أنفه الشائن له، تشبيها مضمرا على طريق الاستعارة فهو هنا لمح صلة بين أمرين من حيث وقعها النفسي، وهنا أراد الديسي أن يوضع شعوره نحو شيء ما، كي يصبح واضحا وضوحا وجدانيا، وحتى يحس السامع بما أحس المتكلم به، فهو دلالة فنية.

2- الاستعارة:

تعد الاستعارة من الوسائل التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه المحاجية، بل إنها من الوسائل التي يعمد إليها كثيرا، فالاستعارة أفضل المجاز وهي من محاسن الكلام إذا جاءت في الموقع السليم، وقد عرفها السكاكي بقوله: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به[3]".

أو هي "استعمال لفظ ما في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له، فالاستعارة في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه[4]" ومن أمثلة الاستعارة ما يلي:

---

[1]- يحي بن حمزة العلوي، الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في العلوم حقائق الأعجاز (من العلوم المعنوية والأسرار القرآنية). تج، بن عيسى بالطاهر، دار الإسلامي، ط1 2007-ص316

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص23.

[3]-السكاكي، مفتاح العلوم، ص477.

[4]- مسعود بودوخة، مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2015 ص70.

"وزفت إليك عروس الأفراح" و"قرأت في البلاغة والإيضاح". "قوض الإسلام عن جزيرة خيامه[1]" وهي كناية عن الارتحال والانتقال لأن تقويض الخيام نقلها فشبه الإسلام بأناس ذوي خيام قوضوها للنقلة، وأزمعوا على الرحلة عن طريق الاستعارة المكنية.

للاستعارة دور بالغ الأهمية في إقناع المتلقي واستمالته لقبول الخطاب فهي مركز الحجاج وهو ما عبر عنه طه عبد الرحمان:

"العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجال على ماهية الحجاج[2]".

فهي تعد وسيلة هامة من وسائل التأثير والاستمالة لما لها من قدرة من التصوير فهي أبلغ من المجاز والأقوى في البيان لأنها تملك طاقة إقناعية رهيبة.

3- الكناية:

فالكناية لفظ يريد به المتكلم " إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود، فيوحي إليه ويجعله دليلا عليه[3]".

فالصورة البلاغية لها وظيفة حجاجيةو وظيفة تحسينية، فهي تسعى إلى الوصول إلى ذهن المتلقي بصفة عامة للإقناع، واستعمالها في موقف المناظرة يكون أكثر إقناعا وهي تعطي النص جمالاً وبعد آخر يجعل المتلقين يتقبلون القصد، ففيها إيحاءات تزيد من تقبل الرسالة، من مثل ذلك " فأنى تشق غباري، وأنا الأصل وأنت الطاري[4]".

هنا يفتخر الجهل على العلم بأصالته، فشق الغبار كناية عن السبق وعدم اللحاق فإذا لم يشق غباره لم يلحقه بالأولى.

---

[1]-الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص55.

[2]-مسعود بودوخة، مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها، ص71.

[3]- الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شقيو، دار الهلال والبحار، الطبعة الأخيرة، بيروت، لبنان 2004، ص264.

[4]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص21.

كذلك في قوله " فكم أجروا في الهوى أفراسا[1]". **كم** هنا خبرية معناها التكثير، وهي كناية عن استرسالهم في الشهوات وتهالكهم على طلب اللذات، فكنى بأجداء الأفراس عن ذلك مبالغة، لأن الكناية أبلغ من التصريح. كذلك في قوله:"والناس خدامي والدهر عبدي وغلامي، وقد آن أن ترجع من حيث أتيت"[2]، وهي كناية عن الخيبة والحرمان، ومنها أيضا: "وسمع الجهل ما في حقه قيل: "فأبرق وأرعد ووعد وأوعد" فهي كناية عن اشتداد غضبة، وتلهب قلبه، فكنى بالإبراق والإرعاد والوعد والإيعاد عن صورة حالة، وما أبداه من تغير مقاله واضطراب أفعاله، وأصل الوعد في الخير والإيعاد في الشر، ولا يتصف بهذه المذكورات إلا من له الغلبة والاقتدار من أولي الأمر والنهي، وأخذته العزة أي الحمية والأنفة، وفائدة التشخيص والتمثيل والتصوير إيضاح صورة الحال بأكمل بيان وأحسن تصوير.

نجد كذلك: "وعلى رأسه التاج والعلم وفي خدمته السيف والقلم[3]".

بمعنى أن على رأس الجهل التاج عمامة مكللة بالجواهر تلبسها الملوك، والعلم بفتحتين الراية، وفي خدمته السيف والقلم كناية عن أربابها يعني أنه برز في صورة رئيس متبوع ذي شارة حسنة وبزة مستحسنة. حفلت المناظرة بالكناية لأن توظيفها يكسب النص طاقة حجاجية يستطيع المحتج من خلالها استماله وإقناع المتلقي ويجعله يذعن لما يقول ولأنها بمثابة الدليل وهذا ما يثبته الزركشي في قوله: "وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له، من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى[4]".

---

[1] - الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص22.

[2] - المرجع نفسه، ص23.

[3] - المرجع نفسه، ص23.

[4] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، 2000، ج2، ص301.

4- الإيجاز:

يعتبر الإيجاز من أهم الأساليب البلاغية التي يعتمد عليها المحتج في خطابه لهدف الإقناع، فالإيجاز هو: "جمع المعاني المتكاثرة تحت لفظ القليل الوافي بالغرض، مع الإبانة والإفصاح"[1]، أو هو اختصار شديد لا مخل ولا ناقص، في مثل قوله: "فبسمل وحمدل وحسبل وحوقل"[2] ولأن الديسي على دراية أنها وردت في القرآن الكريم في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [سورة الانفطار آية 4]، أي بعث الله موتاها وأثير ترابها وهذا دليل على الباع المعرفي الديني خاصة للديسي بما أنه ابن زاوية الهامل فنجد معاني كل من: بسمل: بسم الله الرحمان الرحيم، حمدل: الحمد لله، حسبل: حسبي الله، أما حوقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ونجده في موقف آخر في مقابلة: "فبربر وبرطم، وزمجر، وجرسم[3]" بربر أي تكلم بما لا يفهم، وبرطم أي انتفخ من الغضب، أما زمجر فهي ردد كلامه، وجرسم أي حدد النظر، وهذه الألفاظ تدل على شدة الغيظ ولهيب نار الغضب.

فهي كالشفيرة تترك السامع يبحث في معانيها وهنا يبرز دوره الفعال في العملية الحجاجية حيث أشارت سامية الدريدي: "من زاوية تعني بالحجاج لأنه يشكل سلاحا نواجه به العدوين القاتلين السنيان وعدم الانتباه، فالتطويل في الوصف والتصور والإسهاب في الشرح، والتعليل ينتهيان بالمتلقي إلى الملل فتضعف قدرته على الانتباه ولا يحتفظ من القول إلا بأقله، وحتى هذا القليل معرض إلى النسيان لبعده عن الإيجاز[4].

---

[1]- علي الجازم ومصطفى أمين، دليل البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، ط1، 1999، ص239.

[2]- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

[3]- الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص94.

[4]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص123.

5- التفريع:

التفريع أو التقسيم الكل إلى أجزائه، وهو أن يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ثم يعود إلى تنفيذها، وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل وحجة على دعواه، ومن أمثلة ذلك: "وأين لك فخاري، وأنى تساميني في طيب أصلي وكرم نجاري، فمن أبنائي مفسرون وحفاظ وصوفية ووعاظ ومتكلمون، وفقهاء وأصوليون، وأدباء ومؤرخون، وأطباء ومناطق وحكماء وفرضيون، وحساب وبلغاء، وكتاب ومنجمون، وجغرافيون وأهل هيئة...[1]"، وكذلك: "انظر كشف الظنون، عن أسامي الكتب وخواص الفنون، ومنهم واضعوا العلوم، ومستنبطوا الحدود لها والرسوم، وضع النحو باب مدينة العلم الإمام علي والحديث ابن عبد العزيز...[2].

فالتفريع من أساليب البلاغة التي أجاد فيها الديسي وبرع فيه بحيث ولج إلى تعداد مناقب ومآثر العلم وعلى نقيضه الجهل وهذا من أجل إقناع الطرف الآخر في الخطاب وحملة على الإذعان ودحض الموالي.

6- حجاجية البديع:

لا يقف دور الأشكال اللغوية على زخرفة الخطاب وتنميقه فقط، إنما يهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، فبيرلمان يرفض النظر إلى البلاغة بوصفها: "فن الكلام والكتابة الجيدين"[3]، معتبرا هذه الرؤية قاصرة، لأنها تفصل بين الشكل والمضمون، لأن بعض الأشكال التعبيرية قد تحمل إيقاعا جماليا وخواص شكلية معينة، ومع ذلك "قد يمارس فعالية برهانية حجاجية لما تثيره من إعجاب أو بهجة أو هدوء، أو إثارة[4]".

1- الديسي، المنظرة بين العلم والجهل، ص18.

2- المرجع نفسه، ص18.

3- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص78.

4- محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991 ص71.

وهو ما تجسد في المناظرة التي نجد لوحات بديعية ذات بعد وظيفي إقناعي تأثيري وتتمثل هذه المحسنات في الطباق والمقابلة، الجناس، السجع...الخ.

أ- الطباق:

الطباق هو المطابقة في الكلام، أو التضاد، أي أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه، أي الجمع بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر ومن أمثلها الكثيرة التي سيقت في نص المناظرة بصورة واضحة وجلية: السوقة والملوك- الغني والصعلوك- الحر والعبد- الشريف والوغد- الباقية والفانية.

المباني والمعاني- النقض والإبرام...

العلم والجهل- ميت الأحياء.

يعلمون ولا يعلمون.

فقد كان الطباق بين طباق الإيجاب والسلب، فهو من المحسنات البديعية التي تعطي الكلام نوع من القوة والتأثير في النفس، وتضفي على القول رونقا وبهاء وتوضح المراد، وتجعل تلاحما بين الألفاظ وارتباطا قويا.

ب- حجاجية الفواصل النغمية والسجع:

السجع هو التوافق وفواصل الجمل في الحرف الأخير، أو هو "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية"[1] ونجد ذلك واضحا وجلي في نص المناظرة حيث:

"**والصلاة الكاملة، والتحيات المتواصلة الشاملة**".

"**ولا جدالي عليك يسهل يا ميت الأحياء، وقليل الحياء**".

"**كيف تكون لي أنت المجاري، والعلم صفة الباري**".

"**لا تلحقه إلا فات، وأهله أحياء وهم رفات**".

[1]- عبد الرحمان حنبك الميرائي، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ج3، 503.

ومن خلال هذه الأمثلة نستنتج أن الحجاج لا مفر له من البلاغة، ولا سبيل إلى الإقناع دون الإثارة، وكل هذه الآليات ساعدت على تأسيس الحجاج وأدت إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في المناظرة وجذب انتباه المتلقي.

ج- الجناس:

"الجناس هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى[1]" فهو آلية بلاغية تساهم كباقي الآليات في بناء القول الحجاجي، ونجده في المناظرة بأنواعه بين تام وناقص في مثل قوله:

محمود- محمود	طغام-طعام
الجد – الجد	الأرذال-الأنذال
خمار- قمار	مسالك– مهالك
مادر- نادر	الحصر- العصر
الكساد- الفساد	الخلف-السلف
همم- رمم	نافقة-خافقة

فحجاجيته تبرز في جذب السامع وإحداث ميل في نفسه إلى الإصغاء، وتحمله على متابعة المراد من كلامه واستنهاض فكره وإيقاظه من غفلته، فمتى حضر في الخطاب زاده قوة وإقناعا ومرونة وسلاسة وكلها مزيج في بوتقة واحدة وهي الحجاج.

د- تقديم ما حقه التأخير:

الترتيب في السياق شيء والإخلال به بتقديم أو تأخير شيء آخر لغاية مقصودة فهذه الظاهرة تفسر بلاغيا وتداوليا عند علماء اللغة، فيربطونها بغايات المتكلم ومقاصده يقول سيبويه "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى، إن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم[2]" لأن العدول عن الترتيب المتعارف عليه يهدف إلى إعادة ترتيب الأولويات في ذهن

[1]- حنفي ناصف محمد دياب، دروس البلاغة، مكتبة المدينة كراتشي، باكستان، ط1، 2007م، ص188.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص97.

المتلقي عبر تغيير موقعية البؤرة، ولهذا كانت ظاهرة (التقديم والتأخير) ذات وظيفة حجاجية، يقوم من خلالها المتكلم بتحديد نقاط الارتكاز والأهمية في تقديم المسند على المسند عيله مثلا:

"**فإنه جل وعلا هو الرحيم الرحمان**[1]"

"**والتي ترجع الأركان الأربعة**[2]"

"**وبالعلم تدرك المراكب الفاخرة**[3]"

فالأول بين الرحيم عن الرحمان وكان لمراعاة السجع والثاني التركيز على العلم ومقدرته ومكانته وكذلك في المثال الثالث وهذا للتأكيد على دور العلم ومكانته وهذا لاستمالة المتلقي والتأثير فيه أكثر.

- **استحضار الأسماء:**

في المناظرة استحضر عبد الرحمان الديسي الكثير من الأسماء وهي طبعا إحالات تاريخية مشحونة بالأحداث والإنجازات والنبوغ، فقد وظفها الديسي كنوع من التضمين وتعتبر في الوقت نفسه شكل من أشكال الإنجاز فحين ذكرها الديسي، كان القصد تاريخها وقيمتها ودورها المتميز في تاريخ الأمة الإسلامية خاصة، فمنهم من كان يضرب به المثل في الورع والزهد والتقوى والعلم، ومنهم من كان يضرب به المثل في القوة والسلطة والغزو والجبروت.

فالإيجار وسيلة تأثير واستمالة: " فالقصير الموجز أنفذ إلى الأسماع أحسن موقعا في القلوب والأذهان فضلا عن كونه سريع الانتشار يسير الشيوع والتواتر[4]".

فاستحضار هذه الأسماء ليس عبثا، فلأنه يشير إلى وقائع معينة وهذا في ذاته فعل حجاجي قوي جداً يقول بيرلمان و تيتيكاه".

1- الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ص17.

2- المرجع نفسه، ص17.

3- المرجع نفسه، ص20.

4- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص151.

"إن القيام بانتقاء عناصر معينة وتقديمها للمستمع "Auditoire" ينطوي مسبقا على أهميتها وملاءمتها للنقاش وبالفعل يمنح هذا الاختيار لهذه العناصر حضورا يعتبر عاملا جوهريا للحجاج"[1]

فنجد عبدالرحمان الديسي قد أشار إليه بعض هذه الأسماء في قوله:

"في عتو تيمور أو جنكيز، وتعاظم ممزق الكتاب النبوي كسرى أبرويز، أما القيصر فما فرط في حفظ الكتاب المعظم ولا قصر"[2]

فقد ذكر تيمور، جنكيز، كسرى القيصر، أبرويز، كلها أوصاف لطغيان الجهل وعتوه وتجبره على أنباء زمانه، (وتيمور وهو جبار من جنس التتار ينتمي للإسلام، كان أعراج وأشل، كان يتلصص ويسرق...

فترقت به الحال إلى أن سخر الله له الدنيا، مكن له في الأرض فقهر العباد، ودوخ البلاد، وانتهك الحرمات، وسفك الدماء، وملك أكثر المعمورة حتى كاد يبيد الجمهور ودخل في مملكته من الهند إلى الشام، وسلب الأنفس والأموال وقتل وسبا حتى ألفت في سيرته المؤلفات، نجد كذلك كلمة جنكيز خان وهو طاغية التتار جد هولاكو الذي أخذ بغداد ومحا منها الخلافة العباسية وقتل بها الآلاف وشقوا الحوامل وفعلوا الأفاعيل.. وأما كسرى قيصر وهو ملك الفرس فقد دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم حين بلغه أنه مزقوا كتاب الله فمحا الله ملكهم من الأرض ولم تقم للفرس قائمة.

نجد كذلك "ألا ترى إلى ما كانت عليه أيام الدولة الأموية من الحرمة والاعتزاز بالشام واليمن والحجاز، وما حصل لي من الجلالة ببغداد والعراقين، وما وراء النهر أيام العباسية، وما كان لي من الإقبال بمصر وسائر ديار الإسلام أيام الدولة العباسية.."[3]

---

[1] - المرجع نفسه، ص154.

[2] - الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص93.

[3] - الديسي، بذل الكرامة لقراء المقامة، ص82.

هنا أخذ العلم يذكر نموذجا من تاريخ دول الإسلام، وتخبر له من الإقبال في تلك الأيام.

فحديث الديسي عن الأمم والأشخاص والملوك الماضية وسيلة حجاجية لكي يدل على العبرة التي يمكن استخلاصها من التذكير بمجدهم بسبب العلم وأطلالهم بسبب الجهل فيقول ابن الرشيق: "ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعز والأمم السابقة"[1] والغاية التي كان الديسي يريد الوصول إليها هي الوعظ والتذكير بالمآثر للعلم والمراثي للجهل، ليقنع المتلقي بتحريك هممه نحو التغيير للأفضل والمسارعة إلى طلب العلم والحث عليه.

وعلى هذا فإن الإحالة إلى تلك الأسماء وبتنوعها لا يخرج عن معنى القبول والرفض فالأول بالاستكانة والثاني بالتغير.

فالديسي يؤمن بأن الحياة تعلو مراتبها وترقى إلى أسمى المنازل بالعلم والجهل يهدم بيوت العز ولا عماد لها.

---

[1] - ابن رشيق، العمدة، ص127.

خلاصة :

تعددت أنواع الخطابات في التراث العربي و التي مدت الأبحاث الحجاجية بمادة غنية في التنظير للحجاج على أسس حديثة ، و التي وجد فيها الباحثون المعاصرون ضالتهم .

من هنا نجد نص المدونة الذي هو : مقامة المناظرة بين العلم و الجهل لمحمد بن عبد الرحمان الديسي ، في محاولة منه إيقاظ الهمم و العزائم ، و تنوير العقل الجزائري و كشف جانب مظلم من الثقافة الجزائرية في عهد الاستعمار الذي حاول طمس الهوية الوطني (اللغة و الدين).

و بسبب الفكر الموسوعي لمحمد بن عبد الرحمان الديسي ، بمعن أنه كلما اتسعت دائرة الحوار و الجدل اتسعت دائرة الحجاج و تنوعت ، وهذا ما لمسناه في المناظرة من خلال الآليات الحجاجية المستعملة من: عوامل و روابط و سلم حجاجي .

الخاتمة

أفضى البحث إلى جملة من النتائج كالتالي:

1. إن الحجاج خاصة جوهرية في كل خطاب، من منطلق أننا نتكلم بغية التأثير، وأن اللغة هي حجاجية أصلاً، فقد شكل كذلك الحجاج مشتركا معرفيا أو حلقة وصل بين علوم شتى تتجاذبه، كالتداولية والمنطق واللسانيات والبلاغة حتى امتد حديثا إلى علم النفس وعلم الاجتماع، بل شمل كل نواحي الحياة، فغدا من أهم الإستراتيجيات التي يلجأ إليها المتكلم بغية إقناع المتلقي بخطابه.

2. يعد الحجاج ظاهرة فكرية قديمة حديثة لها امتدادات قديمة عند اليونان والرومان والمسلمين .

فالحجاج شكل من أشكال التواصل والتخاطب والنقاش والحوار، ليس له منطق معين وموضوعاته مختلفة وهي قضايا تشمل كل المعارف الإنسانية.

3. فكرة الحجاج بلاغية، الهدف منها إقناع المتلقي، ولتحقيقه ترى المتكلم يثبت دعوى، ويصحح معنى، فيعتمد في ذلك على وسائل وتقنيات من البلاغة، واللسانيات والفلسفة، وبهذا يعد الحجاج فضاء مفتوحا على مختلف المعارف الإنسانية، وقد اكتسب الخطاب الحجاجي اهتمام اللغويين والباحثين لانفتاحه وتنوع مجالاته، وفي كل مجال يأخذ شكلاً خاصا وخطة معينة معتمدة من المتكلم لإقناع المتلقي كما يأخذ وسائل وآليات وتقنيات محددة .

4. تعتبر المناظرة فن الجدال الراقي، الذي من خلاله تطرح أفكار، فإما أن تبني وإما تهدم، وفيها تتحدد المناهج، فكلما كان الجدل في قمته اتسعت دائرة الحوار والحجاج.

5. فن المناظرة شديد الخطورة وصعب المسلك، ووعر المنفذ، فهو ميدان أرباب العقول الصافية والنفوس القوية لا يدخله إلا المتمرسون ولا يقتحمه إلا الحذاق المتمكنون، فهو لا يسع كل الناس بل خاصتهم، ويعتبر الديسي من هؤلاء الخاصة في القطر الجزائري والعربي معاً.

6.فن المناظرة حجاجي بامتياز هدفه :الدحض والتحريض والإقناع، هدم وبناء رأي مخالف أو جديد، يسعى إلى تغيير وتعديل أفكار المتلقي ومعتقداته، وهذا باعتماد عدة بلاغية ولغوية ومنطقية .

7.فقد وظف الديسي جملة من الإستراتيجيات الإقناعية التي ساقها في سبيل إقناع المتلقي، منها الإستراتيجيات البلاغية، إذ أسهمت مباحث البيان والبديع في توضيح الفعل الحجاجي وبيان مساره خدمة العملية الإقناعية وأبرزها ، مباحث الكناية والتشبيه والاستعارة والجناس والطباق...الخ التي ساقها الديسي واعتمد على خاصيتها وطاقتها الحجاجية.

8.كثرة الأساليب الإنشائية لدى الديسي وتكرارها بشكل ملفت للانتباه، كالأمر والنهي والاستفهام والنداء، وهنا نجد أنه حاول الانتقال من أسلوب إلى أسلوب لتجديد نشاط سامعيه وعدم بث الملل في نفوسهم، وكذا من أجل لفت الانتباه المستمر إلى خطابه بطريقة مغايرة، ليتحقق في الأخير عنصر التأثير والاستمالة .

9.استخدم الديسي أسلوب النفي، وهو عامل حجاجي لنفي اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه وفق الوجهة التي يحددها المرسل .

10. وظف الديسي التوكيد والقصر والعطف، كل بأنواعه، كآليات حجاجية لتثبيت ودحض ما يريد في ذهن السامع وإزالة كل الشكوك .

11. تعتبر المناظرة رافد معرفي، وثروة كبيرة يمتلكها الديسي في جميع المجالات وهذا من خلال استشهاداته واقتباساته، بالرغم من أنه كفيف البصر، وهذا ما زاد في نبوغه وعبقريته الفذة في زمانه وبعد إلى حد اليوم .

12. استحضار صور من الماضي المجيد والعتيد والتاريخ :من قيام الدول وفنائها والملوك والعروش والعلوم وأنواعها ونوابغها... أي طال حديثه عن الأمم العربية السالفة كأنها حاضرة لاستلهام العبر منها، وهذا ما أضفى قيمة وطاقة حجاجية أهمها استدراج المتلقي إلى تخيل واستذكار الأحداث والتمعن فيها.

13. يساهم ترابط منطوقات فعل الحجاج في الدفاع عن القضية التي عرضها الديسي على متلقيه، وتجلى في الشواهد الواردة. إذ ذكر حججه المنطقية العقلية الواحدة تلو الأخرى، من أجل إقناع الآخر وذلك من خلال ترتيبها في السلم الحجاجي والروابط المدرجة للحجج.

14. تدرجت الحجج عند الديسي من الحجج الضعيفة إلى القوية أو العكس، وفقا لأهمية القضية التي ناقشها، وذلك من أجل استمالة المتلقي والتأثير فيه.

15. موضوع المناظرة ارتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الثقافي والتعليمي والفكري الجزائري في تلك الفترة، ما حز في نفس الديسي الذي ألقى بمناظرته أملا منه أن تلقى قبولا حسنا في الأوساط، وهذا القبول يكون باستنهاض الهمم وتحريك العزائم في نفوس الجزائريين ورغبته في تحصيل الإقناع والتأثير في المتلقي، وهو الهدف الأعلى في خطابه .

16. وبهذا كانت هذه الدراسة لتبين المستوى الفكري الراقي الذي بلغته النخبة من الجزائريين في وقت كان الوضع الثقافي والتعليمي في أدنى مستوياته تحت نير الاستعمار الذي حاول طمس الهوية الجزائرية بداية من اللغة والدين والثقافة، فقد برهن الديسي عن مكانته في تلك الفترة باعتراف حتى السلطات الفرنسية.

وفي الأخير أرجو من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، فالكمال لله سبحانه وتعالى، وأنني قدمت ولو النزر القليل جداً.

يقول الأصفهاني:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو كان غير هذا لكان أحسن، ولوترك هذا لكان أجمل ؟ وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ..."

الملاحق

الملحق رقم (01): حياة محمد بن عبد الرحمان الديسي

- اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن عبد القادر بن أبي القاسم بن محمد بن سيدي إبراهيم الغول السلامي الديسي، نسبة إلى قرية الديس، والتي تقع على مسافة من مدينة بوسعادة بالجنوب الجزائري.

- مولده ونشأته:

أجمع كل من ترجم للديسي على أن تاريخ ميلاده كان عام 1270هـ الموافق لـ1854م بالديس، كما اتفقوا نشأ يتيما، إذ توفي والده أياما قليلة بعد ميلاده، وتربى في حجر والدته السيدة: خديجة بنت محمد بن الخرشي وعمته السيدة: عائشة وجدته، حتى حفظ القرآن الكريم وأتقن أحكامه واشتغل بطلب العلم.

فقد الديسي بصره في سن مبكرة، (حوالي خمس سنوات وهو يحفظ سورة الجن) لما أصابه مرض الجدري لكن ذلك لم يثنه عن مزاولة دروسه.[1]

- مسيرته العلمية:

بدأ الديسي مسيرته العلمية في مسقط رأسه بقرية الديس، أين أتم حفظ القرآن، وأتقن أحكامه بقراءاته السبع ومخارج الحروف، ثم بدأ يتلقى علوم اللغة العربية على يد علماء قريته، وكان من أجلهم في ذلك الوقت وأبرعهم وأشهرهم بطول الباع في العلوم والمعارف: الشيخ ابن أبي القاسم بن عروس، والشيخ محمد الصديق الديسي وكلاهما من أولاد سيدي إبراهيم الغول.

ثم انتقل إلى زاوية الشيخ سيدي السعيد بن أبي داود بجبال زواوة "منطقة القبائل" فحصل ما قدم له من العلوم، وأجيز من مشايخه وأذن له بالتدريس[2]، وكان أول ما نظم

[1]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص 16.

[2]- المرجع نفسه، ص 15

هناك منظومته "**درة عقد الجيد**" في التوحيد[1]، انتقل بعدها إلى مدينة قسنطينة، فحضر دروس الشيخ حمداون لونيسي أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولم تطل إقامته بها، ثم رجع إلى بلدته معتكفا على حفظ المتون العلمية[2].

عرف الشيخ الديسي بقوة حافظته، فقد كان يحفظ ما يزيد عن مائة بيت في اليوم الواحد، وكان يحفظ من المتون نحو الخمسين متنا منها: الشيخ في الفقه وبعض متن الرسالة والعاصمية التلمسانية والرحبية في الفرائض، وجمع الجوامع في الأصول والأجرومية والأزهرية، والقطر والألفية والسمرقندية في الاستعارات، ومنظومة الصبان وألفية العراقي، ومتن لامية الأفعال، وفي العروض متن الكافي، ومتن الخزرجية، وفي المديح النبوي متن بانت سعاد والبردة والهمزية، ومن العلوم الشرعية والفنون الأدبية الصحاح الستة وبعض تفاسير الكتاب العزيز.

ولم يطل به المقام كثيرا بقريته، والتي لم تكن بمرافقها البسيطة تستجيب لولعه الشديد بالعلم والمعرفة، خاصة وأنه متعود على الأجواء العلمية، لذلك انتقل إلى زاوية الهامل لما بلغ الثلاثة والثلاثين من عمره، "انخرط في المعهد القاسمي، فكان أنبغ تلاميذه وقد أعجب به الشيخ محمد بن أبي القاسم فقربه واصطفاه. ولما نبغ في العلوم الشرعية والعربية وغيرها على يده، ولاه التدريس في المعهد الهاملي، فكان أحسن من ينوبه، وينهض بالأعباء معه، ودام مدرسا بالمعهد إلى أن أدركته الوفاة[3].

ولما توفي شيخ الزاوية محمد بن أبي القاسم عام (1315هـ-1897م)، خلفه الشيخ الديسي في مهام التدريس، وحافظ على المستوى العلمي لهذا المعهد، ولولاه لانخفض مستواه وتعثر في سيره بعد وفاة مؤسسه [4].

---

[1]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص15.

[2]- المرجع نفسه، ص18.

[3]- محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الشام، ط1، 1965، ج1، ص43.

[4]- المرجع نفسه، ص65.

كان يدرس الزاوية يومئذ "التفسير والحديث وأصول الفقه وفي العربية النحو والصرف والبلاغة والأدب منه العلوم الأخرى، السيرة والتاريخ والمنطق والفلك الحساب"[1].

وكان طيب الأثر في تلاميذه، فحظي بالاحترام من طرفهم وكان مبجلاً عندهم ومعظمهم طلابه وأصدقاؤه، لأنه كان أستاذ مدرسا، ومؤلفا نشيطا وأديبا شاعراً وناثراً وعالما لغويا ودينياً بارزاً [2].

- أخلاقه ومكانته العلمية:

كان الديسي حسن الصورة وجميل الهيئة، ذو جلال ووقار صاحب فكاهة وحسن الحديث، يميل إلى الهدوء والسكينة، إلا إذا استدعى الأمر الرد على بعضهم دون إفراط ولا مبالغة، هدفه في ذلك الانتصار للحق، امتاز بنبوغه في ميادين العلم، خاصة العلوم الشرعية والعربية ونظرا لما كان له من الدرجة العلمية العالية نال مرتبة لدى شيخ الزاوية الهامل محمد بن أبي القاسم، فقربه منه واصطفاه في أحسن المراتب في المعهد .

يقول عنه الشيخ الحفناوي" كان يجب الخمول ويكره المحمدة والظهور، لين الجانب صبوراً غيوراً على الدين، صاحب حزم واجتهاد، منذ خلق ما نطق بفحش، ولا ضبطنا عنه ساعة هو غافل فيها عن دينه وكان يحفظ في اليوم مائة بيت"[3].

ويقول عنه "أبو القاسم سعد الله" "عرف برزانته واتساع علمه".[4] وأيضاً: "وكانت سمعة الشيخ الديسي في الفقه واللغة والعقائد قد وصلت إلى المغرب وتونس"[5].

---

[1]- محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ص 65.

[2]- عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، ص 19.

[3]- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ط1، 1906، ج2، ص297.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المطبعة الوطنية لتوزيع الكتاب، الجزائر، ط1، ج3، ص222.

[5]-المرجع نفسه، ص 222.

كما نوه بدروسه ودروس شيخه حينما قال "وتعتبر دروس الشيخ محمد القاسمي الهاملي والديسي من الدروس العالية "[1].

ولقد حظي بمكانة مرموقة بين علماء وأدباء عصره، ونال اعتراف الكثيرين سعة علمه، وأحرز على إعجاب تلاميذه وتقدير أصدقائه وزملائه، وبعض معاصريه، من خلال إطرائهم له، حتى قال عنه عبد الحي الكتاني "**فخر القطر الجزائري ونادرته... علامة القطر، ومفخرته الشمس محمد بن عبد الرحمان الديسي البوسعادي الجزائري**".[2]

كما لم يكن ممن تنكر بديهته ولا تتعكر فكرته وقريحته أو حتى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان يثق في رأيه، ويستفتيه في العديد من الأمور من جهته كان الديسي يكن الاحترام والتقدير للشيخ ابن باديس.

ولم يقتصر الثناء والإطراء للشيخ الديسي على التلاميذ والأصدقاء العلماء، بل تعداه حتى السلطات الاستعمارية التي اعترفت بنبوغه ومجهوده في التعليم حيث منحته وساماً في 2 جانفي 1908.

إضافة إلى كونه فقيها ولغويا ونحويا، كان الشيخ الديسي شاعراً ينظم القصائد الطوال في مختلف أغراض الشعر العربي إلى جانب الأراجيز التعليمية والألغاز النحوية والفقهية، وكان في ذلك ذا موهبة وقريحة، سريع البديهة حاضر الذهن.

- **مؤلفاته:**

- **التآليف:**

1- درة عقد الجيد، منظومة في التوحيد، تقع في 62 بيتا .[3]

2- العقيدة الفريدة، منظومة في التوحيد، تقع في 35 بيتا.

3- الوردة الجنية في النظم للخصائص الفقهية، تقع في 41 بيتا.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 221.

[2]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، تح إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيرت، لبنان ط2، 1989، ج 2، ص551.

[3]-الكتاني، فهرس الفهارس، ص 72-73-74.

4- سلم الوصول إلى علم الأصول في نظم الورقات لإمام الحرمين، وهي منظومة في 99 بيتا في الفقه.

5- الزهرة المقتطفة، منظومة في الجمل النحوية، تقع في 45 بيتا.

6- الحديقة المزخرفة في مواشي الزهرة المقتطفة.

7- المناظرة بين العلم والجهل، تقع في 16 صفحة طبعتأول مرة بمطبعة بيكار تونس، وطبعت مرة ثانية في المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة 1358هـ، كما طبعت كذلك من قبل دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة 1421هـ/2000 ضمن كتاب المفاخرات والمناظرات لمحمد حسان الطيان، وطبعت مرة أخرى سنة 2009، إخراج عبدالكريم قذيفة.

8- ديوان منة الحنان والمنان: ديوان شعري يشتمل على مائتي قصيدة ومقطوعة.

9- جواهر الفوائد وزواهر الفرائد، مختارات أكثرها في النحو واللغة الأدب.

10- إفحام الطاعن برد المطاعن، كتيب صغير يقع في 17 صفحة.

11- هدم المنار وكشف العوار.

12- تفضيل البادية بالأدلة الواضحة البادية، مقامة في أربع صفحات.

13- الساجور للعادي العقور عاشور.

14- رفع الوهم والتلبيس عن بيان الحكم وتحقيق صفة التحبيس.

15- عقيدة الخلان ونصيحة الإخوان.

16- منظومة في الأسماء المحمدية.

17- فتاوي الديسي في أمور الدين.

18- القصد من الفصد.

- **الشروح**:

1- الموجز المفيد في شرح عقد الجيد.

2- شرح الرجز الكفيل بذكر عقائد أهل الدليل.

3- بذل الكرامة لقراء المقامة.

4- تنوير الألباب بمعاني الشهاب.

5- النصح المبذول لقراء سلم الوصول.

6- فوز الغانم.

7- تحفة المحبين شرح أبيات القطب الأكبر محي الدين.

8- فتح العلام في شرح صلوات القطب عبدالسلام.

9- القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة .

10- المشرب الراوي شرح منظومة الشبراوي.

11- شرح البديعية، وتسمى تحفة الإخوان.

12- خاتمة على الخلاصة.

- **الرسائل**:

1- رسالتان لعبدالقادر بن إبراهيم المسعدي.

2- رسالة لابن باديس سنة 1921.

3- أربع رسائل للحفناوي 1888.

- **تلاميذه**:

لقد تتلمذت على يده أجيال من العلماء خلال أكثر من ثلاثين عاما قضاها في التدريس، وكان لهؤلاء دور في ميادين متعددة كالإمامة والقضاء والإفتاء والتدريس، ومنهم: محمد العاصمي، بومرزاق، أبو القاسم الحفناوي، عبد الرحمان بن بيض، محمد بن علي بن محمد بن حبيش، مدني بن الشيخ، محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم، مصطفى بن قويدر، أحمد أبي داود (ولد الشيخ الديسي)، الشيخ المختار العربي بن داود، شعيب بن عبد الله، أبو بكر أحمد بن حامد، محمد العيد بن البشير، محمد الونوغي، عبد الحميد بن عزوز، أحمد بن حسن، محمد بن ربيع... الخ والقائمة طويلة.

وفاته:

توفي رحمه الله فجر يوم 22 من ذي الحجة عام 1339هـ الموافق ليوم 27 أوت 1921م، وقد ترك آثار منها ما هو مطبوع، والكثير منها محفوظ عند الأفراد والمكتبات.

صورة العلامة الشيخ
محمد بن عبد الرحمن الديسي

الملحق رقم (02): مقامة المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمان الديسي

المناظرة:

بعد حمد ملهم الصواب، وكاشف الأوصاب، والصلاة الكاملة، والتحيات المتواصلة الشاملة،على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه والفئة العالمة العاملة، فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال، فاجتمع قوم، وعينوا لذلك يوم، فقام العلم وقد شاخ وأسن، وأدركه الضعف والوهن، بادي الإعواز، يتوكأ على عكاز، في رثة حال، وأطمار وأسبال، فبسمل وحمدل وحسبل وحوقل، وصلى وسلم، على خير من علم فعلم، وقال ياجهل ما أنت لخطابي بأهل، ولا جدالي عليك بسهل ياميت الأحياء، ويا قليل الحياء، ويا سبب تفليس إبليس، ويا حلية كل دني وخسيس، كيف تكون لي أنت المجاري، والعلم صفة الباري، وميراث الأنبياء ويكفيك لو كنت من قوم يفهمون،" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وجاء في السنة، العالم والمتعلم والعلم في الجنة، وأنت يا جهل بسيطك عدم، ومركبك موجود لا يثبت له قدم، ومن معلوماتي التفسير والحديث، المعظمان في القديم والحديث، وعلم التوحيد، الذي هو لباب الجنة إقليد، وإلي ترجع الأربعة الأركان، التي بها شرف الإنسان، علوم الأديان، وعلوم الأبدان، وعلوم الأذهان، وعلم اللسان، ويكفي الجهل قبح وسمه، ولكل مسمى حظ من اسمه، يخبط خبط عشواء، ويركب متن عمياء، ويتصور الأشياء على خلاف ما هي عليه، وكل شر في الدنيا منسوب إليه، وبالعلم تدرك المراكب الفاخرة، وتنال السعادة الدنيا والآخرة، يزيد بالإنفاق، ووقع على فضله الاتفاق، معظم في كل ملة، وبه تقوم قواعد كل نحلة، بنوه السادة، ولأهل الدنيا والآخرة قادة، مذاكرتهم زيادة، ومجالسهم عبادة، ونعم الأنيس في الوحدة، والمعين على الشدة، والزاد والعدة، يستغفر لأهله كل شيئ حتى حيتان الماء، ووحوش البر وطير السماء، والعلم محبوب طبعا، معظم عادة وشرعا، لا تلحقه الافات، وأهله أحياء وهم رفات:

أخو العلـــم حـــي خالـــد بعـــد موتـــه وأوصـــاله تحـــت التـــراب رمـــيم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يعـــد مـــن الأحيـــاء وهـــو رمـــيم

وكفاه شرفا أن كل أحد يدعيه، وكل ذي فطرة سليمة يقصده وينتحيه، وأنه ينال بالهمم، لا بالرمم، ولا يجاز بنشب، ولا يورث بنسب، يستوي فيه السوقة والملوك، والغني والصعلوك، والحر والعبد، والشريف والوغد، يدرك بالاجتهاد والجد، لا بالاتكال على الأب والجد، وأنت ياجهل شناعة وأي شناعة، وخسارة للحياة وإضاعة بنوك بهائم، وإن لبسوا العمائم، وأنعام وإن غذو بالإنعام، ومعشر طغام، وإن تمتعوا بفاخر الثياب وألوان الطعام، وشرار وإن تشدقوا بالكلام، ورعاع وإن أحرزوا المتاع، يا جادع مارن الشرف، يامفتاح باب التهور والسرف، ياعار الخلف على السلف، ياهادم البيوت، يا أوهى حجة من نسج العنكبوت، يا مفسد العبادة، ياسيئ العادة، يا قليل الافادة، يا مردود الشهادة، يا متلفة الأموال، يا متناقض الأحوال، يا مسود الأنذال، يا مقدم السفلة والأرذال، يا عيبة العيب، ويا مثار الحيرة والريب، بأي لسان استوعب معائبك، أم بأي بيان استوفي مثالبك، وهل كالجهالة عمى وعمه، أو مثل الجاهلية سفالة وسفه، ألا يرى مجاهل المسالك، معاطب ومهالك، ومن سلك السبيل بالعلامة، فاز بالنجاة والسلامة، ألست صفة كل شرير ومارق، ومكسب كل متلصص وسارق، وإن نفق لك سوق، فذاك لعمري سوق الفسوق، وإليك ينتسب كل قمار وخمار، ومغن وزمار، ومحتال وغادر، ومنجم وساحر، ومشعبذ وكاهن، وخليع وماجن، وإن فخرت بالملابس والمآكل، فذاك حظ المزابل، وأنشدوا:

ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقال لي أموالهم ونوالهم عندي

بالخيل والليل، فلأمك الويل، فكل ما أضيف إليك هو حقا للشيطان، وليس له على عباد الله المخلصين من سلطان، وإن عيرتني بالفاقة، فذاك من الحماقة، فالفقر شعار الصالحين الأخيار، وحلية عباد الله الأبرار، فاقعد عن المكارم، فإنك أنت الكاسي الطاعم، والبطنة، تذهب الفطنة، والتخم وخم، وأصل كل داء البردة قضية مسلمة، والمعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء حكمة نبوية معظمة، وإن خدمت الأشباح الفانية، فأنا أخدم الأرواح الباقية، وإن قصرت لذتك على المباني، فقوت الروح أرواح المعاني، وأبنائي الأكياس، وخلاصة الناس، هدأة العباد، ومصابيح البلاد، زينة المحافل، ورؤساء الجحافل،

أيامهم بالمحاسن معمورة، ومساعيهم في الصالحات مشكورة، حياتهم طيبة بالقناعة، ولهم في الدنيا المكانة والطاعة، وفي الآخرة الحسنى والشفاعة .

تلـــك المكـــارم لا قعبـــان مـــن لـــبن شـــيبا بمـــاء فعـــادا بعـــد أبـــوالا

فأين لك فخاري، وأنى تساميني في طيب أصلي وكرم نجاري، فمن أبنائي مفسرون، وحفاظ وصوفية ووعاظ ومتكلمون، وفقهاء وأصوليون، وأدباء ومؤرخون، وأطباء ومناطقة وحكماء وفرضيون، وحساب وبلغاء وكتاب ومنجمون، وجغرافيون وأهل هيئة ومهندسون، ومساحة وسياسة، وعلم حروب وفراسة، إلى غير ذلك مما لا أكاد أحصيه، ولا أقدر أستقصيه، أنظر كشف الظنون، عن أسامي الكتب وخواص الفنون، ومنهم واضعوا العلوم، ومستنبطوا الحدود لها والرسوم، وضع النحو باب مدينة العلم الإمام، والحديث ابن عبد العزيز المجدد الهمام، والتفسير مالك، والفقه أصحاب الأربعة كذلك، وأصول الفقه الشافعي ابن إدريس، ومسائل الكلام الشيخ الأشعري الرئيس، والفراء التصريف، وابن المعتز في البديع اللطيف، والعروض الخليل، وعبد القاهر الجرجاني علم البيان الجليل، إلى غير ذلك مما ابتكره الاعلام، وفتح به العلام، واعترف به الأمم بمزية الاسلام، وكم لي من شمس وبدر، وفخر وصدر، وضياء ونجوم، وشهب لشياطين الجهل رجوم، وغياث ومعين، وناصر وأمين، وبهاء وجمال، وبرهان وكمال، وكم لي من حجة ووضوح ومحجة، أما ترى قوة عضدي، وطالع سعدي، وشهامة سيدي، وكرم مجدي إلى ما لا يحصى من أبنائي النجاب، الذين تشرفوا بسنى الألقاب، أما تخشى يا جهل باس حماتي وضرب أكابر نحاتي، وما للعروضيين من التفصيل والتقطيع، وللصرفيين من تنويع الأفعال والتفريع، ألا تخاف أحكام فقهائي، وأن يقضوا عليك بمر قضائي، ألا تهاب تجريح رواة أنبائي، وصعوبة تجريح أطبائي، ألا تفزع من كلام المتكلمين، وأن يكونوا لعرضك من المكلمين، وقد وجه أهل الاصول، الى حوبك السهام والنصول، واين تفر من عكوس المناطقة، وقضاياهم الكاذبة فضلا عن الصادقة، ألا تتقي تمزيق ألسنة شعرائي، وكناية بلغائي، وتشبيهات البيانيين أن يلحوك بباقل ومادر، وتلميحات البديعيين أن يلمحوا لك بالبيت النادر، إلى ما لا ياتي عليه الحصر، ويتجدد مع كل أهل عصر، ولا تنظر إلى ما رماني به الدهرمن الكساد، فانما ذلك لغلبة الفساد، فالدهر مغرى، بحرمان الاقرا،

ومساهل لكل جاهل، وموافق لكل منا فق، فقد قال الزمخشري العلامة محمود، الذي علمه لولا الاعتزال محمود،

وعانـــدني دهـــري وســـاعد معشـــرا علـــى أنهـــم لا يعلمـــوا وأعلـــم

ومـــذ فلـــح الجهـــال أيقنـــت إننـــي أنـــا المـــيم والأيـــام أفلـــح أعلـــم

فقد كانت أسواقي نافقة، وأعلام عزي في الخافقين خافقة، فكم عالم أصلح حرفا، فاخذ عليه كذا وكذا ألفا، وكم أجيزوا بالبدر، على القصائد الغرر، وكم تمتعوا بالخلع البهية، والمآكل الشهية، والمراكب الهنية، والفرش الوطية، والمساكن المطلة، والضياع المغلة، والكواعب الحسان، إلى سائر ما أنعم به عليهم أهل الإحسان، ألا ترى إلى ما كنت عليه أيام الدولة الأموية من الحرمة والاعتزاز، بالشام واليمن والحجاز، وما حصل لي من الجلالة ببغداد والعراقين وخراسان وما وراء النهر أيام العبابسة، وما كان لي من الإقبال بمصر وسائر ديار الإسلام أيام الدولة التركية وأيام الجراكسة، وخصوصا بالمساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال، فكم كان فيها من فحول رجال، وصولتي ببلاد الروم صدر الدولة العثمانية، ومن شك فلينظر الشقائق النعمانية، وبإفريقية أيام الأدارسة الأغالبة، وبالعدوة الأندلسية أيام الدولة المروانية القاهرة الغالبة، وما قصر في القيام فيّ طوائف، أيام ملوك الطوائف، ونصرت بالأبيض والأسمر، مدة أيام بني الأحمر، ولم تزل لي بتلك العدوة فخامة، إلى أن قوض الإسلام من الجزيرة خيامه، وعظم شأني بمراكش والبيضا، أيام ابن تاشفين وابنه علي الرضا، "قلت بارك الله فيهم" وكنت بالمغربين منقطع القرين، أيام الموحدين"لا بارك الله فيهم" وبني مرين، ونصرت بالهادين المهديين، من الوطاسين والملوك السعديين، ولم أضع بتلمسان أيام بني زيان ولا ببجاية، كما في الدراية، وكذا بتونس والجزائر وزواوة، ونعم العدلان ونعمت العلاوة، فلتبك على سلفي الصالح المنابر، والأقلام والمحابر، أما الآن وقد كان ما كان وذهبت الجماعة، واقتربت الساعة، فلا يسعني إلا الرضا، والصبر على مر القضاء والتقلب على جمر الغضا، فالشيء ينتهي إذا بلغ غاية حده، فعسى الله بياتي بالفرج أو أمر من عنده، فلما فرغ العلم من القيل، وسمع الجهل مافيه قيل، أبرق وأرعد، ووعد وأوعد، ونهض في أكمل شارة وأحسن بزة، وقد انتفخ من الكبر وأخذته العزة، وعلى رأسه التاج والعَلَم، وفي خدمته السيف والقلم، في عتو تيمور أو جنكيز، وتعاظم ممزق الكتاب النبوي كسرى أبرويز، أما

القيصر، فما فرط في الكتاب المعظم ولا قصر، فبربر وبرطم وزمجر وجرسم، وقال يا علم ما هذا الإفراط في الظلم، أتكافحني في إقبال دولتي، وتنا فحني في أيام صولتي، أما ترهب بأسي وشدة شكوتي، وبيدي المناصب، وأنا الرافع والناصب، والمتصرف في الحكام، وإلي مرجع الأحكام، والنقض والإبرام، والقهر والإلزام، وإن كنت قديما أسكن الأطراف، وأستوطن الكفور والأرياف، فالآن قد ملكت الأمصار، وملأت الأقطار، وخفقت في الخافقين بنودي، وطبقت المشارق والمغارب جنودي، فأنى تشق غباري، وأنا الأصل وأنت الطاري، ألم تسمع ما يتلون "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون،" أليس نقصا فيك ما قال عنك الإمام، أنك لعسرك لا تحد، وإن غالب حدودك ينقض ويرد، ومن الحور، نقض أشهر حدودك بالدور، ومن سعادة جدي، سلامة حدي، وصحة عكسي وطردي، وإن كان بسيطي عدما يزول، فمركبي صعب لا يتغير ولا يحول، شديد الرسوخ، سيما في أبناء البيوت والكثير من أولاد الشيوخ، ومن أين لك على مقاومتي المقدرة، وأنت قليل الأنصار وعديم الميسرة، وأبنائي الأغنياء والأمراء، وأبناؤك الضعفاء والفقراء، يا صفر الراحة، يا من حكى مسلم عنه في صحيحه أنه لا ينال بالراحة، يا حليف الجوع، يا منافي الهجوع، يا مضني الأبدان، يا مصفر الألوان، يا قليل الحظوة، عند أهل السطوة، يا مسود الموالي، ورافعهم إلى الأعالي، يا قليل الجدوى، يا داعية الكبر والدعوى، أتفخر ببنيك الشعث الغبر، الذين ليس لهم عند أهل الدنيا اعتبار ولا قدر، إن خطبوا ردوا، وإن عد الناس فما عدوا، وإن غابوا فما فقدوا، وإن حضرروا فكأنهم ما وجدوا، ما لهم شارة، ولا إليهم إشارة، ولا يرجع إليهم في استشارة، وإن نطقوا أسكتوا، وإن صدقوا أبهتوا، عاقلهم حلس البيت، وحيهم بمنزلة الميت، لا يطمعون في نيل الرتب، وسكنى غالبهم الزوايا والترب، قلوبهم منكسرة للغربة، وهم حلفاء كل محنة وكربة، لا ينفكون عن تألم، ويتجرعون كاسات ذل التعلم، عيشهم شظف، ولا يأكلون إلا على ضفف وشربهم من القداح نطف، لباسهم أسمال، وفراشهم تراب ورمال، فهذا غالب حال بنيك يا مكد الطباع، ويا حلية أهل العجز والضياع، مدارسك دوارس، وأذقان حامليك نواكس، ليس على كلامهم معول، وهل عند رسم دارس من معول، أما أنا فقولي المشهور، وأبنائي الجمهور، من الأحداث والرجال، وربات الحجال، وأن مات عالم فتلك ثلمة لا تنسد، وفائت لا يمكن أن يسترد، بشهادة "نأتي الأرض ننقصها من أطرافها" فألق

استماعا، وبما صح في الحديث الشريف إن الله لا يقبض العلم انتزاعا، وإن هلك جاهل خلفه ألف بشهادة فخلف من بعدهم خلف، هذا وأبنائي المترفون، والمنعمون والقوم الذين هم في العيون معظمون، يتمتعون بفاخر الأكل واللباس، وسواء عندهم مالا بأس به وما به بأس، فكم أجروا في الهوى أفراسا، وزينوا ولائم وأعراسا، وعمروا القهاوي والحانات، وملأوا الإصطبلات والخانات، ولهم المعازف والعيدان، والمغنون والقيان، ولهم الليل، وصهوات الخيل، وهم الحماة والكفاة، ولهم المكيفات والكافات، وبأيديهم المتاجر والأسواق، وإليهم الأرزاق عفوا تساق، وهم القوم كل القوم، أنفقوا بضاعة الأعمار في الشبع والنوم، ينامون الصبحة، ويرتكبون كل شيء لا يخافون قبحه، أبناء الغفلة والكسل، وهمهم العسيلة والعسل، يحبون العاجلة، ولا يتفكرون في الآجلة، لا يعرفون غير هذه الدار، ويقولون إلى اللذات البدار البدار، إلى أن تأتيهم النقلة، على حين غفلة، ورحمة الله من وراء ذلك لمن مات على الإيمان، فإنه جل وعلا هو الرحيم الرحمن، وأنت يا علم تضني أولادك بذكر الوعد والوعيد، والنظر في حال الشقي والسعيد، واحتجاجك بقضية إبليس لو كنت ممن يتحقق، فإنه كان عالما غير موفق، والذي ما خص بل عم، قضية ابن باعوراء بلعم، فأصح القول فيه انه عالم سفيه والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه أقام وإلا ودع وارتحل، وليس بين العلم والعمل ملازمة، فلا يصح لك في هذه النزاع والمخاصمة، فكم عالم زاغ في العمل والعقد، وراغ في جميع أحواله عن سبيل القصد، وكثير من أبنائه ذوو زندقة وإلحاد، ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد، ومن شبه ما يدعيه نجم الرفض والاعتزال، ومن فساد نظرهم تشعبت سائر فرق الضلال، والغمر الجاهل، عن كل هذا ذاهل، وجهلاء الأعراب، أقرب في الجاهلية للإسلام من أهل الكتاب فلذا دخلوا في الدين أفواجا، وما أطالوا عنادا وحجاجا، ولم يؤمن من أهل الكتاب إلا النادر الفذ، ومن قل وشذ، وانظر الى الترك والأكراد، كيف بادروا للانقياد، إلى الدين بلا كبير عناد، وما عيرت به أولادي به يا ذا البركة، من اللصوصية والسرقة والشعبذة والمجانة وما معها فتلك أوصاف بيننا مشتركة، يشهد لي ولك العيان، وليس بعد العيان بيان، وليس كل معلوماتك شريفة، بل منها الدنيئة الخسيسة السخيفة، ألا ترى الفلسفة، وتلك المضلة المتلفة، والنجوم والطلاسم، والأوفاق والعزائم، وعلم جابر، الكاسر الغير جابر، والعلوم الشريفة، أحوالها في وقتنا ضعيفة، هذا التفسير فأين محرروه، وهذا

الحديث فأين مقرروه، وأين من يعرف موضوعه، ويميز صحيحه وحسنه وضعفه وموضوعه، وهذا التصوف فأين زهاده، وهذا منهل المعارف فأين وراده، وهذا الفقه فأين متقنوه، وهذا الأصول فأين محسنوه، وهذا الكلام فأين من فيه الكفاية، والقيام عنا بفرض الكفاية، على انه حرم النظر فيه متقدموا الائمة الأعلام، حتى ألف الغزالي حجة الإسلام، إلجام العوام عن علم الكلام والمنطق حرمه جمع من أهل الصلاح، منهم النووي وابن الصلاح وما يغني الاشتغال بالحكمة والبحث عن الأعراض والجواهر، والاستقسات والعناصر، والبسائط والمركبات، والهيلولي والكليات، والاشتغال بها سبب ضلالة الفارابي والرئيس، والموقع لهما في الاعتقاد الرديئ والمذهب الخسيس، وقد حذر الأماثل، من الاشتغال بعلوم الأوائل، والنحو حسن ولكن قال فيه، من يتحققه ويدريه

وما ينفع الأعراب إن لم يكــن تقــى وماضر ذا تقوى لسان معجم وحديث

وإن من البيان لسحرا يحتمل القدح، كما يحتمل المدح، والطب وإن كان حقا، فقد دخله التدليس، وكثر فيه التمويه والتلبيس، والطبيب الحاذق، لا يقدر أن يدفع عن نفسه العلل، فهو إذا سواء والهمل، قال المتنبي:

يموت راعي الظان في جهلــه موتة جالينوس فــي طبــه

غيره في معناه:

ما أفاد الرئيس معرفــة الــط ب ولا حكمه على النيــرات

أشفاه الشفاء من علة المــو ت ولم ينجه كتــاب النجــاة

ونظم الشعر، كاسد السعر، ومن جعله حرفة ومكسبة، كان للفقر والحرمان مجلبة، وسيلة التكفف وسبب النقصان والتخلف، وحرفة الأدب بئس الاحتراف، وهي لعمر أبيك حرفة عن الخير أي انحراف ولذا قال من قال:

قالوا تركت الشعر قلت ضــرورة باب السماحة والملاحة مغلق

خلت الديار فلا كــريم يرتجــى منه النوال ولا مليح يعشــق

حتى صار الأديب مثلا في الضعف والضيق، وقول العاملي في وصف نساء هواه به حقيق:

أضيق من عيش الأديب ثغرها أضعف من حال الأريب خصرها

ومع هذا كله فهبك أتقنت جميع العلوم، ووفقت في المنطوق منها والمفهوم، وخرجت في التفسير عن النظير، وبلغت في الحديث والفقه نهاية التحرير، وأحكمت الفروع والأصول، وأحطت بالمنقول والمعقول، وحصل لك من الأذواق والمعارف ن ما تفك به الفصوص والعوارف، وفقت القاضي والأستاذ في الكلام، وقهرت بحذقك عبد الجبار والعلاف والنظام، وفي النحو ابني مالك وهشام، وأتقنت في التصريف الشافية، ولم يفتك تحقيقات شروح الكافية، ورقيت في السلم المرونق، أعلى درجات سماء علم المنطق، وقرات في البلاغة المفتاح والإيضاح، وزفت إليك عروس الأفراح، وأخذت اللغة عن الجوهري والمجد، وشافهت في البيان السيد والسعد، ووصلت إلى أصول ابني السبكي والحاجب، بلا مانع لك عنها ولا حاجب، والحكمة عن الرئيس والحفيد، والإنشاء والترسل عن الفاضل وعبد الحميد وابن العميد، والأدب عن الحريري، ذي النسج البديع الحريري، وفي التاريخ الكامل ويتيمة الدهر، وديوان العبر ودمية القصر، ونفح الطيب، وإحاطة لسان الدين بن الخطيب، وفي الجغرافية تقويم البلدان، وفي الهيئة الجغميني ذا الاتقان، وجودت بالطيبة والحرز، وفككت كل طلسم ورمز، ما غلت لك قيمة، وما كانت سيرتك إلا غير مستقيمة، فإذا كانت هذه مهمات الفنون، من أحرزها رجع بصفقة المغبون، فما أنشد السعد لنفسه في المطول، هو الحق الذي لا شبهة فيه فعليه المعول وهو قوله:

طويت بإحراز الفنون ونيلهـــا رداء شبابي والجنون فنون

فحين تعاطيت الفنون وحظها تبين لي أن الفنون جنـــون

وهبك صرت العلامة الثاني، ما بلغت الأماني ن فسلم لي في سلطاني، فالزمان زماني، والناس خدامي، والدهر عبدي وغلامي، وقد آن أن ترجع من حيث أتيت، وتموت كما كنت من قبل حييت، وأنا نزلت إلى الأرض في هذه الساعة، وعلى أبنائي تقوم الساعة، وليت شعري ماذا ينفعك ذكرك السالفين من الأعلام، والمتقدمين من صالحي ملوك الإسلام، فرضي الله عن أولئك السلاطين، ورحم برحمته الواسعة ميامين السلاطين، تلك أمة قد خلت، ورسوم درست وعفت، فهل بذكرهم ما مضى يعاد، من رونق الأموي وبهجة الأزهري ومسجد قرطبة وفخامة الزيتونة وضخامة القرويين وشهرة المدارس الثمان ونظامية بغداد، هيهات ما مضى فات، إن الفتى من يقول ها أنا ذا لا من يفخر بالرفات، مضى والله الذين كانوا يحلون العلم ويكرمون العلماء ويجيزونهم عن

التصانيف، ويبذلون لهم الرغائب ويمنحونهم التشاريف، أما الآن فقد صار التصنيف مسخرة، لا مفخرة، والتحقيق مثلبة، لا منقبة، فسلم لتسلم، ولا تعد تتكلم، وعلى ربك فتوكل، فالبلاء بالمنطق موكل، فلما طالت بينهما المشاتمة، وكاد الأمر يفضي إلى المضاربة والملاكمة، قام حينئذ الجميل الأوصاف، حلية المتقين والأشراف، المعروف بالإنصاف، فقال: أيها الخصمان دعا الشنآن، واتركا اللجاج، ولا تطيلا الحجاج، وانتما المتعاقبان على نوع الإنسان، والوصفان له اللازمان، إن فقد هذا وجد ذاك، فبينكما بهذا المعنى اشتراك، وكلاكما من إثار القدرة، وبدائع الفطرة، وقد اقتضت الإرادة الأزلية أن يكون العالم على هذا النظام، جهلاء وأعلام، فلو كان الناس علماء كلهم فمن يقوم بالمهن، أو جهلاء كلهم فمن يحفظ الشرائع والسنن، وليست بينكما مضادة، ولا كبير معاندة، بل بينكما تقابل العدم والملكة، فاحذر الهلكة وسوء الملكة، فالوفاق سكن إن شاء الله بينكما بركة، وأنا أقضي بينكما بقضاء فصل، وكلام جزل، فخيركما العالم العامل، ثم يليه المسترشد الجاهل، ولا خير في غير ذين من كلا الصنفين، فانقضى الكلام، وافترقوا بسلام، وختمت المقامة، بحمد أهل الجنة في دار المقامة، والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وهي أحسن الخواتم والغرض من تلفيق هذه الكلم ونظمها في سمط الحكم والله أعلم بالنيات، إيقاظ العزائم وتحريك الهمم، ختام سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف رابع الحجة جعلها الله لمنشئها وقارئها وكاتبها وسائر من يعتني بها حجة انتهى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

الحديث النبوي الشريف في موطأ الإمام مالك .

المصادر:

1. محمد بن عبد الرحمان الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، وبذل الكرامة لقراء المقامة إخراج عبد الكريم قذيفة، نشر الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ عبد الرحمان الديسي، ط1، 2012.

المراجع:

2. أحمد أمين وزكي محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة هنداوي، مصر، ط5، 1964.

3. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ود بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط2، دت.

4. باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

5. بدر محمد بن عبد الله الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، 2000، ج2.

6. أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

7. أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

8. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

9. جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

10. الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط7، 199، ج1.

11. الجرجاني، أسرار البلاغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

12. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992.

13. حنفي ناصف محمد دياب، دروس البلاغة، مكتبة كراتشي، باكستان، ط1، 2007.

14. حمادي صمود، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية منوية، تونس، ط2، 1998.

15. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008.

16. حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار الكنوز والمعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2014.

17. حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 134، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

18. حسين الصادق، المناظرة في الأدب العربي أحيل عليها في بلاغة الإقناع، عبد اللطيف عادل، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.

19. حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، منشورات عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2010.

20. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شقيو، دار الهلال والبحار، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2004.

21. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف تحقيق وتقديم عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار الشروق جدة، السعودية، ط3، 1984.

22. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ط2 (د.ت).

23. روبارت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تح: تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 2007.

24. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1.

25. الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

26. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

27. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999.

28. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2008.

29. سالم محمد أمين الطالية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 1999.

30. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 3، 2003.

31. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1998.

32. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000.

33. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط1، 2001.

34. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.

35. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة منشورات ضفاف والاختلاف–بيروت، لبنان، ط1، 2013.

36. علي محمد دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الشام، ط1، 1965، ج1.

37. عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1977.

38. علي حافظ إسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديثة، إربد الأردن، ط1، 2010.

39. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححها وعلق حواشيها محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

40. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

41. علي جريشة، اللغة والخطاب، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2007.

42. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط4، 1993.

43. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ج9.

44. علي الجارم مصطفى الأمين، البلاغة الواضحة (البيان المعاني البديع)، دار المعارف، لبنان، ط1، 1999.

45. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهي، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

46. عبد السلام عشير، حينما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط1، 2006.

47. عبد العزيز الحويذق، الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة للملحدين ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته إشراف حافظ إسماعيل العلوي، عالم الكتب الحديثة الأردن، ط1، 2010، ج4.

48. علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 2011.

49. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، تح: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ج2.

50. عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ط1، 1981.

51. عبد الرحمان الديسي، ديوان منة الحنان، الجمعية الثقافية للشيخ الديسي أولاد سيدي إبراهيم، الجزائر، ط1، 2009.

52. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ج2.

53. الفارابي، الحروف، نقلا عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب – دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

54. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر، ط1، 1906، ج2.

55. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المطبعة الوطنية لتوزيع الكتاب، الجزائر، ط1، 1990، ج3.

56. كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

57. محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة وعلم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

58. مسعود بودوخة، مدخل إلى البلاغة العربية وعلوها، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2015.

59. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.

60. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

61. محمد هادي مرادي، فن المقامات، النشأة والتطور، دراسة وتحليل، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

62. محمد بن عبد الرحمان الديسي، مقامة المناظرة بين العلم والجهل، مراجعة وتقديم، عبد الكريم قذيفة، نشر الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي، ط1، 2009.

63. محمد طروس النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

64. محمد بن أبي يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج5.

65. هشام الريفي، الحجاج، عند أرسطو بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية إشراف حمادي صمود، منوية، تونس ط1، 1998. .

66. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

67. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج تح، عبد المجيد تركي، دار المغرب العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2001/2000.

68. يحي بن حمزة العلوي، الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز (من العلوم المعنوية والأسرار القرآنية) ترجمة بن عيسى باطاهر، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007.

69. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم تح نعيم الزورور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

الرسائل الجامعية :

70. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه في اللغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011/2010 .

71. حسن بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، أطروحة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009/2008.

72. شكري المبخوت، عامل النفي وخصائصه في العربية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2011/2010.

73. نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، أطروحة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2011/2010.

74. هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب "المساكين" للرافعي، أطروحة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة وآدابها، جامعة ورقلة، الجزائر، 2003/2002.

75. سمير بعزيز، بنية الخطاب الحجاجي في فن المناظرة، بلاط المأمون، نموذجا أطروحة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2011/2010.

المراجع بالأجنبية:

76. Le Grand Robert. Dictionnaire de la langue Française la1ere édition paris ,1989

المواقع الإلكترونية :

77. سليمة محفوظي، عاملية أدوات الحجاجية، بحث منشور على الإنترنت

www.akhrak.net/news.

المقالات: (المجلات والدوريات):

78. أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي مجلة عالم الفكر، الكويت عدد يوليو 2001.

79. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر العدد التاسع، 2013.

80. لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 81 الجزء 3.

81. محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو العدد 03 ماي 2008.

82. ملفوف صالح الدين، بيبليوغرافيا القصة الجزائرية القصيرة (النشأة والتطور) مجلة الأثر، ورقلة، عدد 7 ماي 2008.

83. محمد حسن عبد الله، المنهج وأدب الحوار مناظرة السيرافي و متى، مجلة البيان ع 368، الكويت، س1، 2001.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول

ماهية الحجاج

أولا- الدلالة اللغوية للحجاج.....07

ثانيا- دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية 07

ثالثا- الدلالة الاصطلاحية للحجاج.....09

رابعا- الحجاج في الفكر الغربي.....11

خامسا- نظرة الغربيين المحدثين للحجاج.....15

سادسا- الدراسات العربية القديمة والحجاج 29

سابعا- الحجاج عند المحدثين العرب 34

ثامنا- خصائص النص الحجاجي 39

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية للمناظرة

أولا- عصر محمد بن عبد الرحمان الديسي 58

ثانيا- الآليات الحجاجية في المناظرة.....62

I- الروابط الحجاجية.....62

II- السلم الحجاجي.....67

III- العوامل الحجاجية 69

IV- المبادئ الحجاجية.....92

ثالثا- الحجاج البلاغي.....95

الخاتمة 107

الملاحق 111

قائمة المصادر والمراجع 129

فهرس المحتويات

ملخص

يهدف هذا العمل تناول دراسة المدونة و هي : المناظرة بين العلم و الجهل لمحمد بن عبد الرحمان الديسي ، فالحجاج جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع، بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع .حيث يعد الحجاج موضوعا قديما حديثا في الآن ذاته، فهو كموروث خطابي فلسفي تشبع حديثا بجملة من المباحث اللسانية والتداولية، وهو مرتبط بوعي الإنسان منذ غابر الأزمان .

وآلية الحجاج اللغوي والبلاغية في المدونة تساعد في حدوث عملية التأثير والإقناع نظرا لترسانة الآليات الحجاجية والذخيرة اللغوية والثقافية التي سمحت بتنويع المنظومة الحجاجية .

الكلمات المفتاحية:الحجاج؛ البنية الحجاجية؛ الآليات الحجاجية؛ السلم الحجاجي؛ المناظرة بين العلم و الجهل ؛ الديسي.

Summary :

Argumentation is a set of linguistic speech styles, meant to convince the interlocutor of what's being exposed or by intensifying the amount of this persuasion. In fact, Argumentation is an old and a new topic at the same time, as well as a philosophic and oratory heritage that's been recently empowered by linguistic and conferring researches. And it has always been connected to human consciousness since the dawn of times..

The mechanism of linguistic and rhetoric argumentation in the record that helps in the occurrence of convincing and influencing process. Thus, El Dissi, used an arsenal of argumentative mechanism, relying on a huge linguistic and cultural repertoire which allowed to provide the argumentative system with diversification.

Key words: Argumentation, argumentative structure, dynamicity, argumentative factors, argumentative links, argumentative scale, debating, El Dissi.